

ملف المستقبل
سرى جدا!!!

روايات راديو العرب

الزمن الآخر

128

Looloo

www.helmelarab.net

القائمه
المؤسسة العربية الحديثة

نشر وتصميم والتوزيع

TEL: 011 - 4411244

فلسطين - غزة

في مكان ما من أرض (مصر) ، وفي حقبة ما من
 حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية
 المصرية ، يدور العمل فيها في هدوء تام ، وسرية
 مطلقة ؛ من أجل حماية التقدم العلمي في (مصر) ،
 ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التي هي المقياس
 الحقيقي للتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل
 رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على
 رأس فريق نادر ، تم اختياره في عناية تامة ودقة
 بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ،
 ويتحدى الغموض العلمي ، والألغاز المستقبلية ..
 إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ،
 وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل . د. نبيل فاروق

١ - عالم آخر ..

اتبعث ذلك الضوء البنفسجي الهادئ ، يغمر المهبط
 الأسطواني الشفاف ، الذي يحمل المقدم (نور الدين
 محمود) إلى الطابق الثالث تحت الأرض ، في مبنى
 المخابرات العلمية المصرية ، حيث مكتب القائد
 الأعلى ، وداخل المهبط تردد صوت آلي ، يقول :
 - المقدم (نور الدين) .. من القسم الخاص ..
 لديك موعد عاجل مع القائد الأعلى ، بعد ثلاث دقائق
 وسبع ثوان .. قف ثابتاً ، وتطلع إلى الدائرة البرتقالية
 أمامك ، حتى يتم التحقق من شخصيتك .
 شد (نور) قامته ، في وقفة عسكرية ثابتة ،
 وتطلع إلى تلك الدائرة البرتقالية ، التي تبعث منها
 خيط أزرق رفيع ، من أشعة الليزر الدقيقة ، راح
 يمسح وجهه في سرعة ، قبل أن يتوقف لحظة على
 قرحيته ، عاد بعدها الصوت الآلي يقول :
 - تم التحقق من الشخصية .. إيجابى .. القائد

الأعلى سيستقبلك خلال دقيقتين وثلاث ثوان بالضبط.
توقّف المهبط فى الطابق الثالث تحت الأرض ، فى
تلك اللحظة بالضبط ، فغادره (نور) ، وعبر الممر
الطويل أمامه ، حتى توقّف أمام حجرة القائد الأعلى..
وفى هذه المرة أيضاً ، خضع لفحص أمنى سريع ،
قبل أن يفتح باب حجرة القائد الأعلى ، ويبدو هذا
الأخير داخلها ، بصحبة الدكتور (جلال) ، مدير
مركز الأبحاث العلمية ، الذى أشار إلى (نور) ،
قائلاً :

- ادخل أيها المقدم .. لدينا الكثير لنتحدث فيه
اليوم .

دلف (نور) إلى الحجرة ، وهو يقول :

- أنا رهن إشارتك يا سيّدى .

أشار إليه القائد الأعلى بالجلوس ، وهو يسأله :

- هل قضيت وقتاً كافياً مع شبيبك المعكوس

يا (نور) ؟!

أوماً (نور) برأسه إيجاباً ، وقال :

- إلى حد ما سيّدى .

مال القائد الأعلى بجسده إلى الأمام ، متسائلاً :

- وما رأيك فى قصته ؟!

سرت قشعريرة باردة فى جسد (نور) ، وهو
يجيب فى اقتضاب :

- مفزعة !

نطقها ، وعقله يقفز إلى كل ما سمعه من شبيبته ،
الرائد فى المستشفى ..

إلى القصة كلها ..

قصة غزو عالم بأكمله ..

ومنذ البداية ..

والبداية كانت فى عالم آخر ..

عالم شبيه بكوننا الأرض ..

فى طبيعته ..

وسكانه ..

وتاريخه ..

وحاضره ..

وكم تمنى ألا يتشابه معه فى مستقبله ..

ففى ذلك العالم ، حيث يوجد (نور) آخر ، وفريق

كامل للمخابرات العلمية ، بدأت سلسلة رهيبه من

الأحداث ، تمهد لغزو فضائى مخيف ..

مقاتلات فضائية مجهولة ، افتحمت ذلك العالم ،
عبر ما يعرف باسم (طريق النجوم) ، وراحت تشيع
الدمار والهلاك بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

وهب (نور) ذلك العالم وفريقه ، للتصدى للغزو
الجديد ..

وانطلقوا يواجهون الغزاة ..

عبر طريق النجوم ..

وهناك ، كانت أمامهم ألف مفاجأة ، على مسافة
هائلة من الأرض ..

لقد شاهدوا أضخم سفينة فضائية ، في الكون كله ..
سفينة الغزاة ..

كانت هائلة ، عملاقة ، وكأنها كوكب بأكمله ،
يسبح في الفضاء السرمدي ، محاطاً بما يقرب من
مليون مقاتلة ..

قوة رهيبة ، تكفي للسيطرة على الكون كله ،
وليس أرضهم وحدها ..

وداخل تلك السفينة ، التقى (نور) العالم الآخر
وفريقه بإمبراطور الغزاة ..

شخص ألى عملاق ، يجلس على عرش هائل ،
ويطالبهم بالسجود أمامه ..

ولأنهم جميعاً ، مثلنا ، لا يسجدون إلا لله (عز وجل) ،
كان من المحتم أن يقع الصدام .. وبمنتهى العنف ..

وهنا سقطت الضحية الأولى ، في صفوف الفريق ..
(رمزي) المسكين ، مزقه بعوض ألى ، في قلب

سفينة الغزاة ، أمام أعين زوجته ورفاقه ..

وكانت الصدمة الأولى ..

أما الصدمة الثانية ، والأكثر عنفاً ، فكانت مع
عودتهم إلى عالمهم ..

عالمهم الذي اغتال الغزاة الفضائيون فيه رئيس
جمهوريتهم ، وسيطروا على كل شيء فيه تقريباً ..

عالمهم ، الذي راحت فيه (مشيرة) ضحية للغزاة ،
عندما بدأت المذبحة ..

حتى الشيوخ والنساء والأطفال ، قتلهم الغزاة بلا
شفقة أو رحمة ..

وهكذا سقط عالمهم تحت احتلال جديد ، أكثر قسوة
وشراسة من الاحتلال السابق (*) .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٦

احتلال يقوده جيش من الآليين ، لا يعرف الرحمة
أو الشفقة .

وهذا ما استنتجته (نور) العالم الآخر ..
أو ما أدركه أخيراً ..

ولأنه لا توجد وسيلة واحدة لهزيمة ذلك الغزو
الآلى الرهيب ، قفزت إلى ذهن (نور) فكرة مجنونة
للمغاية ..

فكرة العودة بألة زمن إلى تاريخ سابق للغزو ..
ومحاولة منع البداية ..

وفى سبيل تحقيق خطته ، اقتحم (نور) ورفاقه
مركز الأبحاث العلمى ، سعياً وراء آلة زمن ، تم
إخفاؤها هناك بدقة ..

ومع الاقتحام ، لقي (أكرم) مصرعه ..

وضخت (نشوى) بعمرها ، لتضمن الانتقال الزمنى ..

وبقى (نور) و (سلوى) العالم الآخر ..

والأمل ..

الأمل الأخير فى تغيير التاريخ ، وإنقاذ عالم كامل
من الفناء ، على يد وحوش فضائية آلية ، لا تعرف
شفقة أو رحمة ..

واتطلقت آلة الزمن ..

ولكن شيئاً ما فى برنامجها أصابه الخلل ..

لذا ، فهى لم تقفز عبر الزمن فحسب ..

ولما عبر أبعاد الكون أيضاً ..

وهكذا هبطت آلة الزمن فى الزمن المطلوب ..

ولكن فى عالم آخر ..

عالمنا ..

ولأن كل شىء فى عالمنا هو عكس الموجود فى

عالمهم ، فقد انعكست الأقطاب ..

وساد الخلل ..

وهوت آلة الزمن ..

وبعنف ..

ومع الارتطام القوى ، أصيبت (سلوى) بشدة ..

ولقيت مصرعها ..

وهكذا بقى (نور) العالم الآخر وحده ..

بقى فى عالم آخر ..

معكوس ..

بالنسبة إليه ..

عالم فقد فيه آخر أمل لإنقاذ كوكبه ..

وحمل إليه لمحة من المستقبل ..
مستقبل مظلم مخيف ..
مستقبل يحمل رائحة واحدة ..
رائحة الموت (*) ..

★ ★ ★

استوعب عقل (نور) الأمر كله ، واستعاد كل
ما سمعه من شبيهه المعكوس ، في لحظة واحدة ،
والقائد الأعلى يسأله في قلق واضح :
- وماذا عن المستقبل يا (نور) ؟! مستقبلنا
نحن ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، وأجاب :
- من الواضح أن التاريخ عندنا وعندهم يسير على
نحو متواز .

قال الدكتور (جلال) في حزم :
- نقصد متشابه .
هزّ (نور) رأسه ، وقال :

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الأول (طريق النجوم) ..

المغامرة رقم ١٢٧

- بل متوازٍ فالأحداث واحدة ، والمنحنى الزمني
واحد ، ولكن شبيهي استخدم آلة زمن ، للعودة إلى
الماضي ، وكل ما حدث هو أن خلل آلة الزمن قد أتى
به إلى عالمنا ، وليس إلى عالمه .

زفر القائد الأعلى في توتر ، وهو يقول :
- إذن فأنت تتوقع لمستقبلنا نفس ما حدث في
عالمه .

أشار (نور) بسبأته ، قائلاً :
- بالطبع ، فهذا ما يحدث في العالمين منذ الأزل ،
إذ إن النظريات العلمية تؤكد أن أي اختلاف في نقطة
من نقاط الزمن ، يؤدي حتماً إلى اختلال التوازن في كل
ما بعد هذه النقطة ، حتى إن كل عالم سيختلف عندئذ
عن العالم الآخر تماماً ، وما دام هذا لم يحدث بعد ،
فهو يعني أن كل شيء في العالمين يتطابق تماماً .

قال الدكتور (جلال) :
- بالضبط .. ولدى دليل حاسم على هذا ..
سأله القائد الأعلى :

- وما هو ؟!
أجابه الدكتور (جلال) في حزم :

- أبحاث (طريق النجوم) ، التى يتحدث عنها ذلك
الشبيه المعكوس ، تتم لدينا بالفعل ، وتحت غطاء من
السرية المطلقة ، حتى إن المقدم (نور) نفسه يجهل
كل شيء عنها .

تتم (نور) :

- هذا صحيح .

ثم التفت إلى القائد الأعلى ، مستطردًا :

- ولكن من الواضح أن عالمنا سينفصلان ،
اعتبارًا من هذه اللحظة .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

- وكيف تجزم بهذا ؟؟

هز (نور) كتفيه ، مجيبًا :

- شبيهي نجح فى الوصول إلينا ، ونقل إلينا

لمحة من المستقبل ، مع ملف كامل ، يحوى صورًا ،
وأرقامًا ، ومعلومات ، وتسجيلات ، تمنحنا نقطة
تفوق على الغزاة هذه المرة .

سأله الدكتور (جلال) فى عصبية :

- هل تعتقد أن بإمكاننا التغلب على غزاة كهؤلاء ؟؟

غمغم (نور) :

- علينا أن نحاول على الأقل .

هز الدكتور (جلال) رأسه ، وألقى نظرة على
القائد الأعلى ، قبل أن يغمغم فى توتر بلغ ذروته :

- بناءً على كل المعلومات ، التى أتى بها شبيهك ،

والتى بذل رجالنا جهدًا مضمّنًا لاسترجاعها ، من

أسطوانة مدمجة ، تنتمى إلى عالم معكوس ، يلوح

لى ، ولمجموعة كاملة من الخبراء ، أنه فى ظل

الإمكانيات الخرافية لأولئك الغزاة ، لست أظن أنه

لدينا أمل أيها المقدم ..

وعض شفتيه ، قبل أن يضيف فى مرارة :

- أدنى أمل .

ولم يعلق أحد بحرف واحد ..

لقد كان حديثه صحيحًا ، حتى إن السكون قد خيم

على الحجرة كلها لوقت طويل ..

طويل جدًا ..

★ ★ ★

« ربما يبدو هذا صحيحًا ، من الناحية الحسابية

والمنطقية ، ولكننى أصّر على التمسك ، ولو بخيط

من الأمل .. »

نطق (نور) قوله هذا فى حزم شديد ، وهو
يواجه أفراد فريقه فى مقرهم ، فتبادل الجميع نظرة
متوترة ، ثم غمغت (سلوى) :
- أى أمل ، فى ظل هذه الظروف ؟!

أجابها (نور) فى حزم :
- الأمل الذى دفع شبيهى هذا إلى المجازفة بكل
شئ ممكن ، فى سبيل العودة إلى الماضى ، وإيقاظ
عالمه ..

قال (أكرم) فى عصبية :
- ولكن هذا الأمل ضاع هباءً يا (نور) .. لقد
ألقت به آلة الزمن إلى عالمنا نحن ، وليس إلى
عالمه ، وهذا يعنى أن مصير عالمه أكثر سواداً من
ليلة بلا قمر .

ارتجفت شفتا (نشوى) ، وهى تتمتم :
- والمسكين سيلقى مصرعه ، إن عاجلاً أو آجلاً ،
طبقاً لتقارير الأطباء ، التى تؤكد أن تركيبه الخلوى
لن يسمح له بالعيش طويلاً ، فى عالم معكوس
بالنسبة له .

هز (نور) رأسه فى أسى ، مغمغماً :

- مسكين .. ربما كان هذا أيضاً هو سبب الإرهاق
الشديد ، الذى شعر به ، منذ بدأ رحلته .
ثم انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يقول :
- ولكنه على الأقل ، نجح فى الوصول إلينا .
سأله (رمزى) ، فى شئ من الحذر :
- وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!
أرداد انعقاد حاجبى (نور) ، وبدأ صوته أشد
حزماً وقوة ، وهو يقول :

- ربما لا ندرى بعد ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ،
ولكننى أؤمن بالقدر ، وأؤمن أيضاً بأن الخالق (عز وجل)
يدير الكون ، بكل عوالمه ، بميزان دقيق ، لا يحدث
أى شئ فيه عبثاً ، وما دام شبيهى المسكين قد قفز
من زمنه وعالمه ، إلى زمننا وعالمنا ، فقد حدث هذا
لحكمة ، لا يعلمها إلا الخالق (سبحانه وتعالى) ،
ومن يدري ؟! ربما جاء هذا لإيقاظ عالمنا نحن !

تمتم (أكرم) :

- نعم .. من يدري ؟!

تبادل جميعهم نظرة متوترة ، قبل أن تسأل
(نشوى) :

- ولكن ما الذى يمكن أن نفعله ؟!

أجاب فى سرعة وحسم :

- أمران : أولهما أن نقوم بدراسة كل ما حملة
إلينا شبيهى ، من وثائق ومعلومات ، وبالأذات كل
تفاصيل رحلته وفريقه ، عبر طريق النجوم .. وكل
ما يتعلق بالغزاة ، الذين لم يلمحهم أحد أبداً .
غمغم (أكرم) :

- قصته تقول : إنهم آليون عمالقة .

أشار (نور) بسبأته ، قائلاً :

- هذا مجرد استنباط ، لا يعتمد على أدلة مادية ،

أو قرائن ملموسة .. فكرة ، بناها شبيهى ، اعتماداً
على مشهد واحد ، داخل سفينة الغزاة .

تساءلت (نشوى) :

- ألا يكفى هذا ؟!

هز رأسه فى قوة ، مجيباً :

- ليس بالضرورة .

ثم مال نحوهم ، مستطرداً :

- ثم إنه ليس هناك ما يدعونا إلى العجلة

والتوتر ، أو استباق الأحداث ، والقفز إلى استنتاجات

أو استنباطات سريعة .. دعونا ندرس كل شىء أولاً ،
ونفحصه ونمحصه ، ونخضعه لكل وسائل التحليل ،
على النحو الذى لم يتح لشبيهى وفريقه ، وبعدها
نضع استنتاجاتنا ، ونظرياتنا ، و ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

- ونستعد لمواجهة الغزاة .

عبارته الأخيرة جعلت الوجود يهبط عليهم بغثة ،
وجعلتهم يتبادلون نظرة مفعمة بالتوتر ، قبل أن تتمم
(سلوى) :

- من يدري ؟! ربما حالقنا الحظ ، وكان مصيرنا

أفضل من مصير أشباهنا .

قال (رمزى) ، وهو يلتقط نفساً عميقاً :

- على الأقل ، لدينا ما يكفى من الوقت .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع أزيز هاتف الفيديو ،
وارتسم على شاشته رقم خاص ، جعل (نور) يقفز
ليضغط زر الاتصال ، قائلاً :

- إنه الدكتور (جلال) .

وبالفعل ، ظهرت صورة مدير مركز الأبحاث على
شاشة هاتف الفيديو ، وهو يقول فى توتر بالغ :

- (نور) .. من حسن الحظ أن وجدتمكم .

بدا عليهم القلق لأسلوبه ، وسأله (نور) :

- ماذا حدث بالضبط يا دكتور (جلال) ؟

أجاب الرجل بنفس التوتر :

- خبراؤنا أجروا حساباتهم ، وراجعوها مرات

ومرات ، ثم توصلوا إلى نتيجة مخيفة .

سأله (نور) في قلق :

- وما هي ؟

أزرد الرجل لعابه في صعوبة ، وهو يجيب :

- إنها تتعلق بموعد الغزو .

سأله (سلوى) بأنفاس مبهورة :

- هل توصلتم إليه ؟

أوما برأسه إيجاباً في شحوب ، فسأله (نور) في

سرعة :

- متى يا دكتور (جلال) ؟

أشاح الرجل بوجهه ، وكأنما يتحاشى المواجهة ،

وهو يجيب :

- بناء على كل ما حصلنا عليه ، سيبداً تلك

الأحداث ، التي أدت إلى ما أصاب العالم الآخر خلال ..

وصمت لحظة ، أزرد خلالها لعابه في صعوبة ،
قبل أن يكمل :

- خلال أربعين ساعة فحسب .

وهوى الجواب على رؤوسهم كالصاعقة ...

أو أشدّ هولاً .



٢ - أربعون ساعة ..

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، قبل أن يلتقي حاجباه ، ويلوح بيده ، قائلاً بلهجة حملت قدراً هائلاً من التوتر :

- أربعين ساعة ؟! رباه ! هل تقول : إن كل ما لدينا هو أربعون ساعة ، ثم يبدأ الغزو ..
أشار الدكتور (جلال) بسبابته ، قائلاً :
- ليس الغزو ، وإنما الأحداث الأولى له .
قال القائد الأعلى فى عصبية :

- أعلم أنك تميل إلى الدقة المفرطة فى عملك وحديثك يا دكتور (جلال) ، بحكم طبيعتك العلمية ، ولكننى لست أدرى الفارق فى الواقع .
أجاب الدكتور (جلال) :

- الفارق كبير ، فبعد أربعين ساعة تقريباً ، سينبث ذلك الضجيج ، الذى أنبأنا بأن بعضهم يسعى لاختراق فضاءنا ، عبر طريق النجوم ، أما الغزو نفسه ، فسيبدأ بعد ..

قاطعته القائد الأعلى فى عصبية أكثر :

- أعلم .. أعلم .. لقد قرأت كل التفاصيل ..

ثم نهض من خلف مكتبه ، متابعاً :

- وترتعد فرائصى ، كلما تصوّرت ما نحن مقبلون عليه .

مطّ الدكتور (جلال) شفّتيه ، مغمغماً :

- كلنا هذا الرجل .

ولوح بيده ، مستطرذاً :

- ولكن خبراءنا يبذلون قصارى جهدهم ، لفهم واستيعاب كل ما حمله إلينا ذلك الشبيه المعكوس .

قال القائد الأعلى فى حدة :

- إنهم يتحركون ببطء بالغ .

هزّ الدكتور (جلال) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- الأمر ليس سهلاً ، فكل ما جاء به ذلك الشبيه ،

يعمل بصورة عكسية .. الآلات ، أجهزة الكمبيوتر ..

الأسطوانات المدمجة ، وحتى ذرات المواد ..

وخبرائنا يبذلون جهداً خرافياً ، لابتكار وتنفيذ أساليب

جديدة ، لدراسة وقراءة تلك المعكوسات ، قبل أن

تتحلل ذراتها ، وتتلاشى من الوجود .

سأله القائد الأعلى بأنفاس مبهورة :

- أهذا ممكن ؟!

هز الدكتور (جلال) كتفيه ، قائلاً فى توتر :

- بالطبع .. لا شيء يمكن أن يتواجد إلى الأبد ،

فى عالم تسير كل قوانينه ونظمه فى اتجاه يخالف

ما نشأ عليه .. حتى ذلك الشبيه المسكين ، لن يمكنه

أن يحيا هنا طويلاً .. إننا لا نمتلك أية وسيلة لإعادته

إلى عالمه .. ولست أظنه حتى يسعى لهذا ، فالعودة

إلى عالمه هى قمة العذاب بالنسبة إليه ؛ فقد فقد

فريقه كله ، وعالمه يسيطر عليه غزاة وحشيون ،

لا أمل فى أن يتركوا خلفهم أية صورة من صور

الحياة .. بل ربما يعود ليجد نفسه وحيداً ، وسط

خراب عام شامل ، و ..

قاطعه القائد الأعلى فى عصبية :

- إننا لا نستطيع إعادته على أية حال .

ثم تردد لعبابه فى صعوبة ، قبل أن يكمل :

- ومن أدراكنا ؟! ربما كان هذا مصيرنا أيضاً .

هز الدكتور (جلال) كتفيه مرة أخرى ، دون أن

ينبس ببنت شفة ، فتابع القائد الأعلى :

- أليس هذا ما يتوقعه الخبراء ؟!

تردد الدكتور (جلال) لحظة ، قبل أن يجيب ، فى

لهجة حملت الكثير من الحذر :

- إنهم يحاولون أن

قاطعه القائد الأعلى ، مكرراً فى عصبية صارمة :

- أليس هذا ما يتوقعونه ؟!

زفر الدكتور (جلال) ، مجيباً فى استسلام :

- الواقع أنه لا توجد ، حتى الآن ، أية وسيلة

منطقية ، لهزيمة جيش هائل من الآليين كهذا .

قال القائد الأعلى ، فى عصبية أكثر :

- حتى بعد أن عرفنا الكثير عن مقاتلات الغزاة ؟!

وحتى ونحن نعلم أين ومتى ستأتى الضربة الأولى ؟!

هز الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

- هذا لن يصنع فارقاً كبيراً للأسف ، فمن الواضح ،

من تحليل ما جاء به الشبيه المعكوس ، أن أولئك

الغزاة الآليين لديهم وسيلة ما ، لمراقبة ومتابعة كل

ما نفعله فى عالمنا ، وهذا يعنى أنهم سيكشفون

محاولاتنا واستعداداتنا لمواجهتهم ، وسيتخذون

ما يلزم للتصدى له .



اتجه القائد الأعلى نحو خريطة كبيرة للعالم ، وأدار بصره فيها بضع لحظات ..

وزفر مرة أخرى ، مضيقاً في عصبية :
 - وعندئذ سيبدأ تاريخنا في اتخاذ منحني جديد .
 اتعقد حاجباً القائد الأعلى ، وهو يقول :
 - ربما كانت الاحتمالات أفضل ، في هذه الحالة .
 قال الدكتور (جلال) في حزم متوتر :
 - أو أسوأ .

لوح القائد الأعلى بذراعه ، قائلاً :
 - وما الذي يمكن أن يكون أسوأ من هذا ؟!
 أجابه في سرعة :

- أن تبدأ المقاتلات المليون بمهاجمة دفعة واحدة ، حتى تسحق المركز الرئيسي للمقاومة ، من اللحظة الأولى .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى في شدة ، وهو يدرس ذلك الاحتمال ، قبل أن يتسائل في اهتمام :
 - ولماذا لم يفعلوا هذا ، في ذلك العالم الآخر ؟!
 أجابه الدكتور (جلال) :

- ربما لم تكن هناك ضرورة عندئذ .
 اتجه القائد الأعلى نحو خريطة كبيرة للعالم ، وأدار بصره فيها بضع لحظات ، قبل أن يغمر في أسى :

- لا توجد أية احتمالات للنجاة إذن .

تردّد الدكتور (جلال) لحظة ، ثم قال :

- ربما لو ..

استدار إليه القائد الأعلى فى لهفة ، متسائلاً :

- لو ماذا ؟!

تردّد الدكتور (جلال) بضع لحظات أخرى ، قبل

أن يجيب فى حسم :

- لو وجدنا وسيلة لإغلاق طريق النجوم .

بهت القائد الأعلى للجواب ، فتساءل مبهوراً :

- أهذا ممكن ؟!

أوما الدكتور (جلال) برأسه ، قالاً :

- من الناحية النظرية ، الجواب هو نعم ، فكل

ما يحتاج إليه الأمر هو إحاطة الأرض بحزام من

الطاقة ، يمنع نذبذة الاختراق من بلوغ نقطة الصفر ،

وهذا سيجعل من المستحيل عبور طريق النجوم

إلينا .. الوسيلة التقليدية ستبقى بالطبع ، ولكن

السفر بالسرعات التقليدية ، أو حتى بسرعة الضوء ،

عبر ثلاث أو أربع سنوات ضوئية ، يحتاج إلى طاقة

لا محدودة ، وكم هائل من الوقود ، لست أظن أية

سفينة فضائية ، فى الكون كله ، يمكن أن تحمله ،

حتى ولو كانت بحجم كوكب كامل كما يصفونها .. ثم

إن الوقت والمسافة يكفيان لإلغاء الفكرة من العقول

الآلية الغازية تماماً .

هتف القائد الأعلى :

- ولماذا لم تقل هذا منذ البداية ؟!

قلب الدكتور (جلال) كفيه ، قائلاً فى أسف :

- لأن هذا يحتاج إلى شهر كامل على الأقل

لإنجازه .

تراجع القائد الأعلى كالمصعوق ، هاتفاً :

- شهر كامل ؟! أهذا وقت السخرية يا رجل ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

- قلت منذ البداية إن الحل نظري فحسب .

صاح به القائد الأعلى فى عصبية :

- وليس لدينا ما يكفى من الوقت ، لنناقش الحلول

النظرية والاحتمالات المستقبلية ، التى تتجاوز حدود

الوقت المتاح .. أريد حلولاً عملية .. حلولاً تحسم

الأمور ، فى أسرع وقت ممكن .

التعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يغتم :

- ربما لو حاولنا ، من الجانب الآخر .
صاح به فى عصبية :

- أى جانب آخر ؟! طريق النجوم هذا أشبه بشبكة
عنكبوت لا محدودة .. إنه أكثر توسُّعًا وانتشارًا من
شبكات الأنترنت نفسها ، ولا يمكنك أن تحكم ملايين
المدخل والمخارج فى آن واحد ، وخاصة عندما
يكون بوسع خصمك أن يقفز من أية نقطة إلى أخرى ،
دون حساب مسبق !

هز الدكتور (جلال) رأسه ، وقال :

- ليس كما تتصور يا سيدى .. فعلى الرغم من أن
طريق النجوم عبارة عن شبكة هائلة ، إلا أنه يشبه
شبكة الأنترنت ، فى أنه هناك دائمًا طريق واحد
رئيسى ، يقود إلى عالمنا نحن ، يمكن بلوغه من أى
مكان فى الكون ، ولكنه وحده يعبر إلينا ، ولو أمكننا
إغلاق هذا الطريق الرئيسى ، فسنمنع أى شيء ،
وأى شخص ، مهما كانت ماهيته ، من الوصول إلينا .
سأله القائد الأعلى مبهورًا :

- وكيف يمكن إغلاق ذلك الطريق الرئيسى ، من
الجانب الآخر كما تقول ؟!

بدا التردد مرة أخرى ، على الدكتور (جلال) ،
فهتف به القائد الأعلى فى حدة :

- أفصح يا رجل .. ليس لدينا الزمن كله .

ازدد الدكتور (جلال) لعابه ، وقال :

- هذا يحتاج إلى فريق علمى ، فى مهمة خاصة
جداً .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يضيف فى حزم :
- مهمة انتحارية .

واتسعت عين القائد الأعلى ..

لقد فهم ما يعنيه رئيس مركز الأبحاث ، ولم
يستطع النطق بحرف ..
حرف واحد ..

« كيف حالك ؟! »

ألقى (نور) السؤال على شبيبته ، فى لهجة تحمل
الكثير من التعاطف ، على نحو جعل الآخر يبتسم فى
شحوب ، لا ينافسه سوى شحوب وجهه وهو يقول :

- لا يمكننى أن أدعى أننى فى أفضل حال .

غمغم (نور) فى أسى :

- بالتاكيد .

كان الشبيه شاحباً ممتقناً إلى حد مخيف ، ولقد بدت عيناه زالفتين ، وهو يشير بيده ، متسائلاً في مرارة :

- لم تجدوا وسيلة لإيقاظ عالمي .. أليس كذلك ؟
أردد (نور) لعبه في صعوبة ، وهو يجيب :
- إننا لم نجد بعد وسيلة لإيقاظك .
هزّ الشبيه رأسه ، قائلاً :

- لم يعد هناك فارق .. إنني أعلم أنه من المستحيل أن تحتل خلاياي العيش طويلاً ، في عالم معكوس .. إنني أشعر بهذا جيّداً .. هذا الشحوب ، والإرهاق العنيف ، وآلام الصدر والكلى .. إنني أحضر ببطء يا صديقي .

نطق عبارته الأخيرة ، وهو يبذل جهداً خرافياً ليبتسم ، ثم لم يلبث أن لوّح بيده ، متابعاً في ألم :

- حتى حركة يدي تؤلمني بشدة .
قال (نور) بصوت خافت ، وكأنما يعتذر عن كل ما حدث :

- الأطباء سيستخدمون عقاراً جديداً ، لتخفيف آلامك .

ابتسم الشبيه مرة أخرى في شحوب ، متمتماً :
- ومن أراهم أنه لن يعمل على نحو معكوس ؟
ثم زفر في توتر بالغ ، قبل أن يتساعل :
- وماذا عن عالمك ؟
أجاب (نور) :

- الغزو سيبدأ بعد ست وثلاثين ساعة .
هزّ الشبيه رأسه في ألم ، متمتماً :
- يا للخسارة !

وعضّ شفته الباهتة ، متابعاً :
- أتعثّم أن يكون حظكم أفضل منا .
قال (نور) :
- سنبدّل قصارى جهدنا .

وافقه الشبيه بإشارة من يده ، قبل أن يستلقي على فراشه ، ويسبل عينيه ، قائلاً في ضعف :
- الضعف الذي يحيط بي ، يمنعني من التفكير بذهن صاف ، ولكن هناك عدة نقاط ، أرجو أن توليها اهتمامك ، وأنت تراجع قصة عالمي كلها .

سأله (نور) فى اهتمام :

- وما هى ؟!

أشار الشبيه بسبأته فى تهالك ، قائلاً :

- إنها بضعة أسئلة ، تحتاج إلى أجوبة شافية ..

غمغم (نور) :

- كلى أذان مصغية .

خُيل إليه أن شبيهه يقاوم غيبوبة عنيفة ، تهاجم

عقله فى شراسة ، وهو يقول :

- الضوء يا صديقى ..

سأله (نور) فى حيرة :

- أى ضوء ؟!

أجاب به ضعف متزايد :

- لماذا كانوا يطفئون الأنوار ، كلما انتقلنا ، من

قاعة إلى أخرى ؟! حتى فى أثناء هروبنا ، وعندما

كان ذلك البعوض الآلى يهاجمنا ، انطفأت أضواء

القاعة !! فلماذا ؟!

قفزت عدة نظريات إلى رأس (نور) ، ولكنه لم

يحاول نقل إحداها إلى لسانه ، وهو يستمع إلى

شبيهه ، الذى تابع :

- ولماذا لم نر الغزاة قط ؟! لماذا لم نر حتى بعض

الحراس أو معاونين ، حول ذلك الإمبراطور الآلى

العملاق ؟!

ثم اعتدل فى صعوبة ، وفتح عينيه الزائغتين .

ليقول متوتراً :

- ولكن الأكثر أهمية سؤالا .. لماذا لم تتبعنا

مقاتلات الغزاة ، عندما عبرنا طريق النجوم ، فراراً

منها ؟! ولماذا كان الغزاة يهاجمون كل دولة على

حدة ، على الرغم من امتلاكهم لقوة فضائية هائلة ،

لا قبل للعالم أجمع بها ؟!

تراجع (نور) فى مقعده ، وانعقد حاجباه فى

تفكير عميق ، فى حين رفع شبيهه يده فى إرهاق ،

متمتماً :

- ابحث عن أجوبة لهذه الأسئلة يا صديقى ،

وربما .. ربما ..

ارتجفت الكلمات على شفثيه ، وهو يبذل جهداً

شديداً ، لينطق كلماته ، و ..

ولكن ضعفه الشديد لم يمهل ..

لقد هوى فجأة فى غيبوبة ..

غيبوبة عميقة ..
للغاية ..

* * *

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يستمع إلى
(نور) فى اهتمام ، قبل أن يلوح بيده فى قوة ،
هاتفا :

- عظيم .. إذن فالتاريخ يعيد نفسه إذن .. شببهك
أرسلوه وفريقه فى مهمة انتحارية ، كانت بداية
نهايتهم ، وهنا يطلبون منا القيام بالمهمة ذاتها .. قل
لى يا (نور) : ألا يتعلمون أبداً .

أجابه (نور) فى هدوء :
- الأمر يختلف تماما يا (أكرم) .. شببهى المسكين
وفريقه انطلقوا إلى مهمتهم الانتحارية ، لتحديد موقع
الغزاة وطبيعتهم ، أما نحن فننطلق إليها ، ولدينا كل
المعلومات اللازمة ، ومهمتنا أن نعمل على إغلاق
طريق النجوم فى وجوههم تماما ، وليس أن نجمع
بعض المعلومات عنهم .

هتف (أكرم) فى حدة :
- ولماذا يرسلوننا نحن ؟! لماذا لا يرسلون فرقة
من فرق الصاعقة أو القوات الخاصة ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- لأن هذا العمل يحتاج إلى محترفين فى الاتجاهين ..
يحتاج إلى فريق علمى انتحارى ، وهذا ينطبق أكثر
ما ينطبق ، على فريقنا بالذات .
انعقد حاجباه ، وهو يقول فى عصبية :
- هذا واضح .

نقل الباقون أبصارهم ، بينه وبين (نور) ، قبل
أن تتساعل (ملوى) فى توتر :
- ما الذى سنفعله بالضبط يا (نور) ؟
أجابه (نور) فى حزم :

- إغلاق طريق النجوم يحتاج إلى إطلاق ذنبية
خاصة قوية ، ثم اعتراضها بإيقاف صوتى حرج
مباغت (*) ، بتوقيت بالغ الدقة ، لا يصلح للقيام به

(*) الإيقاف الصوتى الحرج: الطبيعى ، من الناحية العلمية ، أن
يتساعد الصوت وينخفض تدريجياً ، على نحو منتظم ، ولكن الإيقاف
الصوتى الحرج يعنى هبوط التردد إلى الصفر دفعة واحدة ، وهذا
يؤدى إلى توقف ارتجاجى مباغت ، قد يتسبب فى تحطيم الزجاج ،
أو المواد القابلة للكسر ، كما أنه يسبب إزعاجاً بالغاً ، لكل
المخلوقات ، التى لديها القدرة على التقاط الذبذبات فوق الصوتية .

سوى خبيرة صوتيات مثلك يا (سلوى) ، بمعاونة
خبيرة كمبيوتر محنكة مثل (نشوى) .
قالت (نشوى) فى لهفة عصبية :
- لا توجد ضرورة لذهاب (رمزى) و (أكرم) إذن .
احتقن وجه (أكرم) ، وهو يهتف فى حدة :
- ماذا تقولين يا فتاة ؟! الفريق لن يذهب إلى أى
مكان بدونى .. أنا جزء مهم منه ، شئت أم أبيت .
قال (رمزى) فى حزم :
- هذا ينطبق على أيضا .
التفتت إليه (نشوى) ، هاتفة فى ارتياح :
- مستحيل ! لن أسمح لهم بأن يفعلوا بك ما فعلوه
بشبيهك .
هتف مستكبرا :

- تسمحين لهم ؟! أى قول هذا يا (نشوى) .. ألم
يمكنك إدراك الأمر جيدا ؟! منذ اللحظة التى هبط فيها
شبيه (نور) المعكوس إلى عالمنا ، اختلت حالة
التوازى ، وانفصل تاريخنا عن تاريخهم تماما ،
وكذلك مصيرنا ومصيرهم ، وطبقا للمنطق العلمى
البحث ، فما حدث فى عالمهم ، لم يعد من الممكن

أبدأ أن يتكرر فى عالمنا .. بل إنه من المستحيل أن
يحدث هذا الآن .

قالت (سلوى) ، بلهجة أرادت أن تضى عليها
شيئا من الحماس :

- وربما كان مستقبلنا أفضل .

تمتم (أكرم) فى عصبية :

- أو أسوأ .

أجاب (نور) فى حزم :

- أيا كانت النتائج ، علينا أن نبذل قصارى جهدنا

فحسب ، ولنترك النتائج للخالق (عز وجل) ، فهى
ليست من شأننا .

ارتجفت شفتا (نشوى) ، وخفضت عينيها ، وهى
تتمتم :

- بكل تأكيد .

نطقت كلمتها ، فساد صمت ثقيل فى المكان ،

وراح كل منهم ينقل بصره فى وجوه الآخرين ،

وكأنما لديهم ما يخشون الإفصاح عنه ، إلى أن قال

(أكرم) ، قاطعا ذلك الصمت :

- ومتى ننطلق يا (نور) ؟!

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب في حزم :

- خلال ست ساعات على الأكثر .

ثم شد قامته ، مستطرداً :

- وهذا يعني أنه ستكون أمامنا ثلاثون ساعة كاملة ، ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتج المكان كله بضجيج عجيب ..

ومخيف ..

ضجيج لم يكن من المفترض حدوثه ، قبل ست وثلاثين ساعة كاملة ..

وكان هذا يعني الكثير ..

الكثير جداً ..

« إنها محاولة الاختراق الأولى .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة ، وكيانه كله يرتجف ، وتحركت سبابته فوق خريطة العالم ، مكملاً :

- نفس الأماكن ، بنفس التوزيع ، ونفس درجة الارتجاج ، التي سجلها شببها في عالمه ، ولكن قبل الموعد الذي أخبرنا به بست وثلاثين ساعة كاملة ..

ثم زفر في عنف ، مضيقاً :

- وليس هناك أدنى شك في تحليل الموقف .. إنها

محاولة اختراق لقضاء .. أنتدك ما يعنيه هذا أيها المقدم ؟!

أجابه (نور) في لهجة حاسمة :

- يعني أنه هناك جاسوس بيننا يا سيدي .

كان الجواب مباغثاً بحق ، حتى إن القائد الأعلى والدكتور (جلال) حدقا في وجهه بدهشة بالغة ، قبل أن يهتف الأول :

- ماذا تقول يا (نور) ؟!

التفت إليه (نور) ، مجيباً :

- أقول : إن التفسير الوحيد لما حدث ، هو أنه

هناك جاسوس بيننا ، ينقل التطورات أولاً فأولاً إلى الغزاة ، بوسيلة ما ، وهذا ما دفعهم إلى تقديم موعد الاختراق ، لمنعنا من اتخاذ كل ما يمكن أن يعرض حملتهم للخطر .

كان تفسيراً منطقياً إلى حد مخيف ، حتى أن القائد الأعلى والدكتور (جلال) قد تبادلا نظرة مرتاعة، نهض بعدها الأول من خلف مكتبه ، وهو يقول في توتر :

- هذا أمر بالغ الخطورة ، ومنطقي أيضا للغاية .

قال الدكتور (جلال) في انفعال :

- ودون أدنى شك ، فمن الناحية العلمية المحضه ،
كان ينبغي أن يتحرك الغزاة بنفس النمط ، الذي
تحركوا فيه في العالم الآخر ، حتى مع وصول ذلك
الشبيه المعكوس إلينا نظرا لأنه من الطبيعي أن
يجهلوا كل شيء عنه ، ولكن تحركاتهم السريعة ،
واتشفاقهم عن التسلسل الزمني المنطقي ، يؤكد أنهم
قد علموا بأمره .

أشار (نور) بسبابته ، قائلا :

- ليس هذا فحسب ، وإنما أمكنهم اختراق وسائل
أمننا ، ومعرفة ترتيباتنا ، الخاصة بمواجهتهم ،
وقرروا أن يتحركوا أسرع منا ، حتى لا يفقدوا زمام
المبادرة قط .

اتعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتحرك في المكان
بعصبية ، قائلا :

- هذا أمر بالغ الخطورة يا (نور) ، ولا بد من
حسمه بأسرع وقت ممكن ، فلو لم نتمكن من كشف
تلك الثغرة وإغلاقها ، قبل أن يبدأ الغزو ، لتحوّلت
إلى سيف حاد ، ينفرس في قلوبنا بلا رحمة .

زفر الدكتور (جلال) في توتر ، قائلا :

- هذا لو لم يقطع رءوسنا أولاً .

قال (نور) في حزم :

- دعنا نأمل أن نبليغ نحن رأس ذلك الجاسوس
أولاً .

رفع القائد الأعلى سبابته ، قائلا :

- المهم أن نحدد هويته في البداية ، فلن يمكننا
فحص ومراجعة أوراق الجميع ، واستجواب كل من
تحوم حول موقعه الشبهات ، في الساعات القليلة
القادمة .

أجاب (نور) في حزم :

- يمكننا أن نختصر دائرة البحث إلى حد كبير ،
فالجاسوس الذي نبحث عنه ، يحتل حتماً موقعاً
متقدماً للغاية ، بحيث يمكنه الاطلاع على تقارير بالغة
السرية ، في نطاقات عديدة ، وهو مطلع ، في الوقت
ذاته ، على كل ما يخص شبهي ، وانتقاله من مستقبل
عالم إلى عالمنا ، ويدرك مدى خطورة الأمر ،
وما يمكن أن يؤثر به على مصير الغزو كله .
اتسعت عيننا القائد الأعلى ، وهو يقول :

- ولكن الذين ينطبق عليهم هذا معدودون
يا (نور) ، وهم من قيادات الإدارة ، وكلهم تم
اختيارهم بدقة بالغة .

قال (نور) فى اهتمام :

- ربما تم إبدال أحدهم بوسيلة ما .

قال الدكتور (جلال) فى حزم :

- هذا مستحيل ! إجراءات الأمن والتحقق من
الشخصية تم تطويرها كثيراً ، بعد ما حدث من زائر
الفضاء السابق^(*) ، ولم يعد خداعها ممكناً .

هز (نور) رأسه فى إصرار ، قائلاً :

- ولكن من المستحيل أن يخرج الجاسوس عن

هذه الدائرة ..

تبادل الدكتور (جلال) والقائد الأعلى نظرة متوترة
للغاية ، قبل أن يזفر الأخير فى عصبية ، قائلاً :

- المؤسف أن تحليلك منطقي ومقتع تماماً يا (نور) ..
الجاسوس حتماً هو واحد منهم للأسف .. سأراجع
بيانات الكمبيوتر الخاصة بهم بنفسي ، و

(*) راجع قصة (كرة النار) .. المغامرة رقم ١٢٥

قبل أن يتم عبارته ، اتسعت عينا (نور) ، وتألقنا
بشدة ، فهتف به القائد الأعلى فى لهفة :

- (نور) .. لقد توصلت إلى شيء ما .

هتف (نور) فى انفعال :

- بالتأكيد يا سيدي .

سأله الدكتور (جلال) فى لهفة :

- وما الذى توصلت إليه أيها المقدم ؟

أجاب (نور) ، بكل حماس الدنيا :

- الجاسوس يا دكتور (جلال) .. لقد توصلت إلى

معرفة الجاسوس ، الذى يعمل لحساب الغزاة .

واتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ..

وخفق قلبه ..

بمنتهى العنف ..



٣ - الجاسوس ..

« الكمبيوتر ؟! .. »

هتفت (نشوى) بالكلمة فى ذهول ، وهى تحدق فى وجه والدها ، الذى شد قامته ، فى اعتداد شديد ، وهو يجيب :

- نعم يا رفاق .. جاسوس الغزاة هو الكمبيوتر نفسه .. آلة تتجسس لحساب غزاة من الآلات .

هتف (أكرم) :

- ولكن كيف ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

- الكمبيوتر أصبح كل شيء فى حياتنا ، منذ السنوات العشر الأخيرة ، من القرن العشرين .. كل شيء يدار بوساطته ، وهو منتشر فى كل مكان ، عبر شبكة هائلة لا محدودة ، يتصل بعضها ببعض ، على نحو لم يحدث فى أى نظام آخر ، عبر التاريخ كله .. إنه يتحكم فى كل أجهزة الرؤية ، والسمع ، والاتصالات ، والمواصلات ، وتخزين المعلومات ،

وحتى الدفاع الجوى والقتال ، وإطلاق الصواريخ إلى الفضاء ، والتحكم فى شبكة الكمبيوتر هذه ، يجعل المرء مطلعاً على كل شيء فى العالم ، ويساعده على تخزين كم لا محدود من المعلومات ، يكفى لبناء صورة تامة عن عالم بأكمله ، بحيث يمكنك فهم طبيعته ، وتضاريسه ، وسكاته ، وحتى مناخه وحشراته ..

سألته (سلوى) فى حيرة متوترة :

- ألهذا أصرت على فصل كل الأجهزة الآلية والإلكترونية عن المقر ، قبل أن تفصح عما لديك ؟!

أجاب فى حزم :

- بالضبط .. إننا لم ندرك بعد كيف يعمل ذلك الجاسوس الإلكتروني ، لذا فمن المحتم أن نتخذ كل الاحتياطات الممكنة .

سأله (رمزى) فى توتر :

- ولكن كيف يا (نور) ؟! كيف تمكن أولئك الغزاة من السيطرة على شبكة الكمبيوتر ، وحولوا عملها لصالحهم ؟!

أشار (نور) إلى ابنته ، مجيباً :

- هذا ما ستخبرنا به (نشوى) .

هتفت (نشوى) فى دهشة :

- أنا ؟!

أجابها فى سرعة :

- بالطبع .. أنت خبيرة الكمبيوتر بيننا ، ووحده

يمكنك أن تشرحى لنا ، كيف يمكن أن يحدث هذا .

قالت مبهوتة :

- هناك وسائل عديدة لذلك !

قال فى حزم :

- أمامك ثلاث ساعات ونصف الساعة ، لتكشفى

الوسيلة التى استخدمها الغزاة ، وتجدى وسيلة

للميطرة عليها ، أو هزيمتها تماماً .

قالت فى توتر :

- ثلاث ساعات ونصف الساعة ؟! ألا يمكننى

الحصول على وقت أطول ؟!

هز رأسه نفيًا ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ،

قائلًا :

- كلاً .. لا يمكنك هذا ، فبعد هذا التوقيت ،

سنكون داخل مكوك الفضاء (ابن ماجد) ، فى

طريقنا ، عبر طريق النجوم ، لمواجهة الغزاة ،

والسعى لإغلاق السبيل فى وجوههم .

اتعقد حاجباها ، وهى تنهض نحو الباب ، قائلة :

- فلأبدأ على الفور إذن .

سألها فى شىء من الصرامة :

- إلى أين ؟!

أجابته فى دهشة :

- سأحضر جهاز الكمبيوتر الخاص بى .

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لا .. لا تحضره إلى هنا .. أريد هذا المقر

نظيفًا ، حتى يتم كشف ذلك الجاسوس الإلكتروني ..

اعمل فى مكتبك الخاص ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع أزيز هاتف الفيديو ،

فاستدار إليه ، وضغط زر الاتصال ، فظهرت على

الشاشة صورة الدكتور (جلال) ، وهو يقول فى

توتر واضح :

- (نور) .. نريدك فى المستشفى الخاص بنا

فورًا .

سأله (نور) فى قلق :

- ماذا حدث ؟!

ازدرد الدكتور (جلال) لعابه ، قاتلاً :

- شبيهك يا (نور) .. إنه ..

قاطعه (نور) فى توتر :

- هل يحتضر ؟!

هز الدكتور (جلال) رأسه ، فى قوة وحدة ، قبل

أن يجيب فى عصبية :

- كلا .. إنه أمر عجيب .. عجيب حتى إنك لن

تصدقه ، إلا لو رأيته بنفسك !

ثم مال إلى الأمام ، مضيقاً فى حدة :

- المهم أن تسرع يا (نور) .. أسرع بالله عليك ،

قبل أن ينتهى كل شيء .

وكانت هذه العبارة الأخيرة وحدها كافية ، لتخفق

قلوب الجميع بمنتهى العنف ..

وليقفز إلى رءوس الجميع تساؤل مخيف ..

للعاية ..

* * *

مع مرور الوقت ، ومواجهة الخطر ، فى العديد من

الصور ، قد يعتاد المرء رؤية إنسان يحتضر .

ولكن من المؤكد أنه ما من تجربة ، فى الحياة كلها ،

يمكن أن تجعل المرء يعتاد رؤية نفسه ، وهى تحتضر ..

أو بمعنى أدق ، رؤية شبيهه ، هو نسخة طبق

الأصل منه ، فى هيئته ..

وعقليته ..

وواقعه ..

وتاريخه ..

ولكن بصورة معكوسة ..

لكل هذا ، سرت فى جسد (نور) قشعريرة عجيبة

عنيفة ، وهو يدلف إلى حجرة شبيهه ، فى المستشفى

التابع لمركز الأبحاث العلمية ، والذى اكتظ بالأطباء

والعلماء والباحثين ، الذين راحوا جميعاً يحدقون فى

تلك الظاهرة العجيبة ، التى أحاطت بالشبيه ..

كان يرفد على فراشه ، شاحب الوجه بشدة ، حتى

ليبدو أشبه بالموتى ..

لولا تلك الهالة المحيطة به ..

هالة تتموج بكل ألوان الطيف ، فى تناغم ونعومة

مدهشين ، حتى ليخيل إليك أنه ملك يحتضر ، وليس

بشرياً عادياً ..

وما إن وقع بصره على (نور) ، وعلى الرغم من كل ما يشعر به ، من ضعف وألم ، لَوَّحَ الشَّبيه بِمِثَابَتِهِ ، وابتسم في شحوب ، مَتمَمًا :

- هل رأيت ما حدث يا صديقي ؟! ألم تتمنَ دومًا أن تتألق ، قبل أن تنتهي حياتك ؟!

اقترَب منه (نور) ، وسأله في خفوت مشفق :

- ماذا حدث ؟!

أشار الشَّبيه بيده إلى الأطباء المحيطين به ، مَتمَمًا :

- سلهم .

رفع (نور) عينيه إلى كبير الأطباء ، الذي تنهَّد ، قائلًا ، وهو يقلب كفيه في استسلام أسف :

- لقد بلغ المرحلة اللا رجعية .. خلاياه تتفاعل مع عالمنا ، وتتهار في بينته المعكوسة ، والطاقة الناتجة من الانهيار الخلوي ، هي التي تحيطه بتلك الهالة العجيبة .

تمتم (نور) :

- إني لم أر شيئًا كهذا قط .

هزَّ الرجل رأسه ، مغغمًا :

- إنك لن تلتقي بشخص من عالم معكوس كل يوم .
أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، وعاد يلتفت إلى شبيهه ، الذي حاول مرة أخرى أن يبتسم ، وهو يقول بصوت أشبه بالهمس :

- هل أدركت ما يعنونه يا صديقي ؟! إني أحتضر .. حياتي في عالمكم تنتهي ، قبل أن أجد وسيلة لإنقاذ عالمي .

أشار إليه (نور) ، قائلًا :

- لا ترهق نفسك بالحديث .. إنك ..

قاطعته شبيهه في تهالك :

- بل دعني أتحذث يا صديقي .. الصمت لن يطيل عمري كثيرًا ، ولكن حديثنا قد يطيل أعماركم أتم .

اتعقد حاجبا (نور) ، فتابع شبيهه :

- ربما عجزت عن إنقاذ عالمي ، وتجنبيه ذلك الجحيم ، الذي سيبيده حتمًا ، إن عاجلاً أو آجلاً ، ولكن من يدري ؟! ربما ساهمت في إنقاذ عالمك أنت .

ثم أدار عينيه فيمن حوله ، مَتمَمًا :

- هلاً منحنموناً فرصة التحدُّث وحدنا ؟!

أجابته كبير الأطباء :

- بالتأكيد يا ولدى .. بالتأكيد .

ثم أشار إلى باقى الأطباء ، قائلاً فى حزم :

- هيا بنا .

قال أحدهم فى توتر :

- نغادر المكان ؟! كيف ؟! المفترض أن ..

قاطعهم كبير الأطباء فى صرامة ، وهو يرمقه بنظرة

غاضبة :

- قلت : هيا بنا .

تبادل الأطباء نظرة صامتة ، ثم غادروا المكان

على الفور ، وما إن أغلق آخرهم بابها خلفه ، حتى

أشار الشبيه بيده ، قائلاً :

- أغلق كل الأجهزة الإلكترونية ؟!

تردّد (نور) لحظة ، وقال :

- بعض هذه الأجهزة يبيّك حياً .

أجابه فى حزم :

- والبعض الآخر ينقل أحاديثنا للغزاة .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وهو يقول :

- هل استنتجت هذا ؟!

ابتسم الشبيه ، وغمغم :

- أراهن على أنك فعلت ، فى اللحظة نفسها .

تمتم (نور) :

- تقريباً .

التقط الشبيه نفساً عميقاً ، وراح يلهث فى قوة ،

فمال (نور) نحوه فى إشفاق ، قائلاً :

- قلت لك : إن الصمت ..

قاطعهم مرة أخرى فى عصبية :

- دعك منى ، وأغلق تلك الأجهزة أولاً .. هيا ..

أسرع بالله عليك ، فأنا أزداد ضعفاً .. هيا .

تردّد (نور) لحظة أخرى ، ثم لم يلبث أن اتجه

إلى مفتاح التشغيل الرئيسى ، وأغلقه ، ثم التفت إلى

شبيهه ، قائلاً :

- لقد فعلتها .

أغلق الشبيه عينيه بضع لحظات ، ثم عاد يفتحهما ،

متسائلاً فى ضعف :

- هل توصلت إلى جواب الأسئلة ؟!

غمغم (نور) :

- ليس بعد .

رفع الشبيه سبابته فى صعوبة ، قائلاً :

- أنا فعلت .

هتف (نور) فى لهفة :

- حقاً ؟

أجابه الشبيه :

- أنت أيضاً ستفعلها يا صديقى ، ولكننى أتميز
عنى بأننى قد رأيت كل شيء بنفسى .

ثم بذل جهداً ، ليرفع رأسه عن القرائن ، مستطرداً :
- وهذا ما ساعدنى على الفهم .

لاحظ (نور) أن الهالة المحيطة بشيبيه تخبو
رويداً رويداً ، فقال فى توتر :

- ساعد تشغيل الأجهزة .

هتف شبيهه :

- لا .. لا تجعلهم يدركون أننا قد فهمنا هذا ..

استمع إلى أولاً .

ثم لهث فى شدة ، قبل أن يضيف :

- كل هذا ليس حقيقياً يا صديقى .

سأله (نور) فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟



التقط الشبيه نفساً عميقاً ، وراح يلهث فى قوة ، فمال (نور)

نحوه فى إشفاق ..

أجابه في سرعة ، وصوته يزداد خفوتا ، مع خبوة
الهالة المحيطة به أكثر وأكثر :

- لا تجعلهم يخدعونك .. هذا ما يجيدونه تماما ..
انظر إلى حقيقتهم ، وليس إلى ما يبدون عليه .. إنهم
ليسوا عمالقة يا صديقي .. ليسوا ..

لم يستطع إكمال عبارته ، واتسعت عيناه عن
آخرهما ، وبدا وكأن حلقه يغص بالكلمات ، وتلاشت
الهالة المحيطة به أو كادت ، فصاح (نور) في
ارتياح ، وهو يقفز نحو مفتاح التشغيل الرئيسى ،
ويضغطه بكل قوته :

- رباه ! لا تستسلم لهذا يا رجل لا تستسلم .

انهار رأس الشبيه على الوسادة ، واتسعت عيناه
أكثر وأكثر ، وغص حلقه بحشجة عجيبة ، فاندفع
(نور) خارج الحجرة ، صائحا :

- أسرعوا بالله عليكم .. إنه ينهار .

اندفع فريق الأطباء إلى الحجرة ، والتفوا حول
الفرش ، وراحوا يتأكدون من توصيلات الأسلاك ،
وعمل الأجهزة ، التى تقيس النبض وضغط الدم ،
ومعدلات التنفس ، وإشارات المخ ، وغيرها من

العلامات الحيوية ، والتى أشارت مؤشراتها كلها إلى
الصففر ، على الرغم من الارتجاف الواضحة ، فى
جسد الشبيه كله ، وإلى شفثيه المرتعدتين ، وهو
يتمتم :

- وهم .. مجرد وهم .

اتعقد حاجبا (نور) فى شدة ، والتصق بالجدار ،
دون أن ينبس ببنت شفة ، أو يحرك ساكنا ، وهو
يحدق فى شبيهه ، الذى راح الأطباء يبذلون قصارى
جهدهم لإسعافه ، وهو يلهث فى شدة ، قبل أن يرفع
رأسه بفتة ، ويتطلع إلى عيني (نور) مباشرة ، ثم
يشير إليه بسبابته ، قائلا :

- يوما ما ، قد تجدون وسيلة للعودة إلى عالمي ،
فى زمن مناسب .. عدنى أن تبذل قصارى جهدك
عندئذ لـ لـ

لم يستطع إكمال عبارته ، فسرت قشعريرة باردة
كألف ألف جبل من الثلج ، فى جسد (نور) ، وهو
يغمغم ، وقد فهم ما يرمى إليه شبيهه :

- أعدك .

أغلق الشبيه عينية فى ارتياح ، وترك رأسه يسقط
على الوسادة ، مغمغماً :

- عظيم .

ومع آخر حروف كلمته ، توهجت الهالة المحيطة
به ، وتألقت على نحو عجيب ، حتى إنها أضاءت
المكان كله بضوء مبهر ، أجبر الجميع على إغلاق
عيونهم لحظة ..

لحظة واحدة ، خبا بعدها الضوء تماماً ..

وانفتحت العيون ..

ثم خفقت القلوب فى عنف ..

فقد كان ذلك الضوء المبهر هو الوهج الأخير
للهالة ..

ولحياة ذلك الشبيه المسكين ..

(نور) .

(نور) العالم الآخر ..

★ ★ ★

« (نور) .. أتت بخير ؟ »

تسلل صوت (سلوى) حنوناً مشفقاً ، إلى أذنى
(نور) ، فرفع كفيه عن وجهه ، وأدار إليها عيني

محتقتين ، من غزارة الدموع الحبيسة فيهما ، وهو
يغمغم ، بصوت حمل كل حزن ومرارة الدنيا :

- نعم يا (سلوى) .. أنا بخير .

ثم أشاح بوجهه ، مستطرداً :

- على عكس شبيهى المسكين .

ربكت على كتفه فى عطف وحنان ، مغممة :

- موته ألمنى أيضاً يا (نور) .. إنه شبيهك ، ولكن

الموت هو مصيرنا جميعاً .. طال الزمن أم قصر .

هز رأسه ، قائلاً فى ألم :

- لم يستطع إنقاذ عالمه .

قالت :

- هذا قدره .

ثم استدركت فى سرعة :

- ومازال أمامنا قدرنا نحن .

صمت بضعة لحظات ، انعقد خلالها حاجباه فى

شدة ، قبل أن يقول :

- صدقت .

والتقط نفساً عميقاً ، امتلأ به صدره ، قبل أن

ينهض ، قائلاً فى حزم عجيب :

- وعلمنا أن نقاتل من أجله بكل قوتنا .

لم يكذبتم عبارته ، حتى اندفعت (نشوى) إلى مقر الفريق ، هاتفة :

- أبى .. لقد توصلت إليه .

التفت إليها الجميع فى سرعة ولهفة ، فأضافت فى انفعال :

- توصلت إلى الجاسوس .

سألها (نور) :

- ما طبيعته بالضبط ؟!

أجابت فى سرعة :

- إنه أحد فيروسات الكمبيوتر (*) .

هتف (أكرم) مستكراً :

- فقط ؟!

(*) فيروس الكمبيوتر : هو برنامج دخيل ، صغير الحجم فى

الأغلب ، ولكن له آثاراً مدمرة ، على برامج الكمبيوتر الأخرى .

أو ذاكرته الأساسية ، ولا ريب فى أن الأطباء التفسيريين هم الأقدر على

تحليل وتفسير السبب ، الذى يدفع بعض العباقرة إلى ابتكار تلك

الفيروسات ، لتدمير أجهزة الكمبيوتر الأخرى . دون فائدة مباشرة !!

التفتت إليه ، مجيبة :

- لا تستهن بفيروسات الكمبيوتر ، فمَنْذُ أن وضع

أحدهم بذرتها الأولى ، فى أوائل التسعينات ، من القرن

العشرين ، وهى تتطور على نحو مخيف ، ولست

أدرى لم يبذل البعض كل هذا الجهد ، لابتكار وسائل

جديدة ، لإفساد وتدمير أعمال الآخرين ، ولكن أحدهم

نجح ، فى نهاية القرن العشرين ، وبدايات القرن

الحادى والعشرين ، فى اختراع وتطوير جيل جديد من

فيروسات الكمبيوتر ، نطلق عليه اسم (الفيروسات

الذكية) ، وهى تختلف عن الجيل السابق فى قدرتها

المدهشة على تطوير نفسها ، وكشف كل محاولات

التصدى لها وتدميرها ، ومواجهتها بردود أفعال

عنيفة ، قد تؤدى إلى آثار أكثر تدميراً ، بالنسبة

لأجهزة الكمبيوتر ، أو النظم الإلكترونية المحتلة .

سألها (رمزى) فى قلق :

- وهل الفيروس الذى نتحدثين عنه ، من هذا

الطراز ؟!

أجابت فى انفعال :

- بالضبط .

ثم أدارت عينيها في وجوههم ، متابعة :
 - ليس هذا فحسب ، ولكنه أكثر تطوراً أيضاً ،
 على نحو يشف عن مدى تقدّم وعبقريّة صانعه ،
 فلهذه القدرة على الاختباء بذكاء شديد ، داخل برنامج
 التشغيل الرئيسى ، لشبكة كمبيوتر المعلومات ،
 والتوغّل فيها جميعها ، دون أن تكشف البرامج
 المضادة للفيروسات وجوده .

سألها (أكرم) مبهوراً :
 - كيف كشفت أنت وجوده إذن ؟

هزّت كتفيها ، مجيبة :
 - لقد استخدمت برنامجاً جديداً .

ثم استدركت في انفعال :
 - وحتى مع هذا ، لم يكن الأمر سهلاً .

ألقي (نور) نظرة على ساعته ، قائلاً :

- عظيم .. المهم أنك قد كشفت أمره .. هل يمكنك
 إبطال مفعوله إذن ، في غضون الساعتين المتبقيتين ،
 قبل أن ننتقل في رحلتنا ؟

غمغم (أكرم) :

- تقصد قبل أن نلقى بأنفسنا في قلب الجحيم .

رمقه (نور) بنظرة صارمة ، قبل أن يستطرد :

- هل يمكنك هذا ؟

هزّت رأسها ، قائلة :

- المشكلة ليست مشكلة وقت .

سألها (رمزي) :

- مشكلة ماذا إذن ؟

أجابت بانفعال :

- مشكلة أنه ليس فيروساً ذكياً فحسب ، وإنما هو
 فيروس عبقري ، ولولا أنني قد التففت حوله ،
 وأقنعت به بأننى أقوم بفحص روتينى فحسب ، لاتخذ
 رد فعل بالغ الشراسة ، و ...

تردّدت لحظة ، فسألها (نور) فى قلق :
 - وماذا ؟

رفعت عينيها إليه ، مجيبة :

- ودمر نظام الكمبيوتر لدينا بأكمله .

اتعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- من المؤكد أنه لدينا أسلوب وقائى ، ضد
 الفيروسات الذكية .

أومأت برأسها إيجاباً ، وقالت :

- لدينا نظام فعال للغاية ، ولكن هذا الفيروس عبقري ، كما سبق أن أخبرتكم ، وهو جديد تمامًا ولم يتم اختباره أو دراسته من قبل ، والوقت المتبقي لا يسمح بإجراء الاختبارات اللازمة ، قبل البدء بمهاجمته .

ازداد اعتقاد حاجبي (نور) ، وبدت عليه علامات التفكير العميق ، وهو يتجه إلى النافذة ، ويتطلع عبرها في صمت ، قبل أن يلتفت إلى ابنته ، قائلاً في حزم شديد :

- هناك وسيلة لاختبار الأمر ، خلال دقائق معدودة . سألته في دهشة :

- وما هي ؟!

استدار إليها بجسده كله ، مجيباً :

- أن نهاجم الفيروس على الفور .

اتسعت عيناها في استنكار مندهش ، وهي تهتف :

- وماذا لو ...

قاطعها في صرامة :

- هذا سيحسم الأمر في سرعة .

قالت (سلوى) في توتر :

- أو يسحق نظامنا الكمبيوترى بضربة واحدة .

هز رأسه في حزم ، قائلاً :

- لست أظن هذا سيحدث .

سأله (رمزي) :

- وكيف يمكنك أن تجزم ؟!

أشار بسبائته ، قائلاً :

- لنفس السبب ، الذي أخبرتكم به من قبل .. لأن

الكمبيوتر يتحكم في كل شيء في حياتنا تمامًا ، حتى

أن تدمير شبكته الرئيسية يعنى شل حركتنا عن أي

شيء .. بما في هذا قدراتنا القتالية والدفاعية ،

ولو أن خصمنا يمكنه هذا ، لما تردّد لحظة واحدة ..

صحيح أن فيروسه يمكن أن يوصف بالعبقرية ، في

مجال التسلل والاختباء ، ولكن صانعه يُدرك جيدًا

أنه لن يصمد أمام مواجهة مباشرة ، مع البرامج

المتطورة لدينا ، والخاصة بمكافحة الفيروسات

الذكية ، لذا فهو يكتفى بتجنيد كجاسوس للتتصّل ،

ونقل المعلومات ، وليس كسلاح فتاك ، في مواجهة

نظامنا الإلكتروني بأكمله .

بدت الدهشة ممتزجة بالانبهار ، على وجوههم

جميعاً ، واهتفت (سلوى) :

- ربّاه ! هذا منطقي تمامًا .

أشارت (نشوى) بسبأبتها ، مضيئة :

- إلى أقصى حد .

ثم شذت قامتها ، على النحو نفسه ، الذى يفعله والدها ، وأكملت فى حزم :

- سأبدأ على الفور .

واستدارت تغادر الحجرة ، وتتجه إلى مكتبها الخاص ، فهتف (أكرم) :

- فكرة عبقرية يا (نور) .

ثم ربت على كتف هذا الأخير فى حرارة ، مستطرذاً بكل حماس :

- إنك قادر بالفعل على التصدى لهم .

غمغم (نور) :

- أشكرك .

ابتسم (رمزى) ، قائلاً :

- الواقع أنك عبقرى حقيقى يا (نور) .. وعبقريتك هذه تتفوق حتى على العلم والتكنولوجيا ، وعلى خبرائهما فى كثير من الأحيان ، فأعظم ما فيها هو أنها عبقرية فطرية ، مدعومة بدراسات وثقافات عديدة ، صقلت روعتها ، وحققت ثمراتها ، على نحو مدهش ، قد لا يتكرر فى الجيل بأكمله ..

بدا الخجل والارتباك ، فى وجه (نور) وصوته ، وهو يقول :

- ليس إلى هذا الحد .

هتف (رمزى) فى حماس :

- بل وأكثر من هذا يا (نور) .. لقد هزمت الغزاة بذكاك وحسن تفكيرك ، واستنتاجاتك .. أكاد أتخيل تلك الوجوه الآلية ، عندما يدرك أصحابها أنك قد كشفت أمرهم ، وفضحت جاسوسهم ، الذى تصوروا أنه خط قتلهم الأول ، الذى لا يمكن كشفه قط ، و... قاطعه (نور) ، وهو يهتف بغتة :

- يا إلهى !

نطقها ، وعيناه تتألقان على نحو عجيب ، جعل (أكرم) يسأله متوترًا :

- (نور) ! ماذا هناك ؟!

ولكن (نور) دفعه جانباً ، وانطلق يعدو خارج الحجرة ، على نحو اتسعت له عيون الجميع فى دهشة بالغة .. دهشة بلا حدود .

٤ - المهمة ..

اتعقد حاجبا العالم المسلول عن إطلاق المكوك الفضائي (ابن ماجد) ، في حق غضب ، وهو يقول للدكتور (جلال) في حدة :

- ماذا تعنى بقولك هذا يا دكتور (جلال) ؟ لماذا نعيد برمجة المكوك بالكامل ، وبرنامجهم يعمل بصورة جيدة للغاية ؟

وضع الدكتور (جلال) أمامه علبة صغيرة ، تحوى مجموعة الأسطوانات المدمجة الصغيرة ، اللازمة لإعادة برمجة المكوك ، وهو يقول فى صرامة :

- لدى أسبابى .

سأله العالم فى عصبية :

- أية أسباب هذه ؟

أجاب الدكتور (جلال) بنفس الصرامة :

- أسباب أمنية .

ثم أضاف فى سرعة ، قبل أن يلقي الرجل سؤالاً آخر :

- والمفترض أن تتم عملية إعادة البرمجة هذه ، فى غضون ساعة واحدة ، ودون الاستعانة بأية أجهزة إلكترونية خارجية ، مهما كانت أهميتها .
اتسعت عينا العالم فى دهشة محنقة ، قبل أن يهتف :

- ما هذا بالضبط ؟ اختبار كفاءة ؟

أجاب الدكتور (جلال) فى برود :

- بالضبط .

ثم ألقى نظرة على ساعة يده ، مستطرداً :

- ولو أردت رأى ، فالأفضل أن تبدأ على الفور ، إذ إن الساعة ستنتهى بأسرع مما تتصور .

اتعقد حاجبا العالم فى حق وغضب ، ولكن الدكتور (جلال) غادر المكان فى سرعة ، دون أن يضيف حرفاً واحداً ..

ولثوان ، ظلّت علامات الغضب محفورة فى وجه العالم ، قبل أن يغمغم فى سخط :

- ما الذى يفعلونه بنا ؟ أى تعنّت هذا ؟

والتقط حقيبة الأسطوانات المدمجة ، وهو يستطرد :
- كل مرة تقفز إلى أذهانهم وسائل تعذيب سخيفة ،

وعندما تسألهم عما يعنونه ، يجيبونك بأنها أسباب
أمنية .

وهز رأسه في قوة ، وهو يجذب جهاز الكمبيوتر
الجديد ، الذي أحضره إليه ، مغمغماً في سخرية
عصبية :

- أيها الأمن ، كم من المهازل ترتكب باسمك .

أشعل جهاز الكمبيوتر الجديد ، وطالع واجهته
الخالية بضع لحظات ، قبل أن يقول في حدة :

- أية سخافة هذه ؟! المفترض أن أقوم ببرمجة
هذا الكمبيوتر الجديد أولاً ، ثم أستخدمه لإعادة
برمجة المكوك .. أى تعقيد هذا ؟!

ثم أدار بصره إلى الكمبيوتر التقليدي ، على قيد
خطوات منه ، وابتسم في خبث ، وهو يضيف :

- ولكن هناك وسائل أكثر سهولة حتماً .

قالها ، وابتسامته الخبيثة تتسع أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

« كل شيء سيُفسر على ما يُرام بإذن الله ،
ما دامت برامج المكوك كلها جديدة .. »

نطق الدكتور (جلال) عبارته في ارتياح واضح ،
قبل أن يلقي جسده على أقرب مقعد إليه ، في حجرة
القائد الأعلى ، مستطرداً :

- مع إعادة برمجة المكوك (ابن ماجد) ، سينتهي
أمر جاسوس الغزاة تماماً ، وسيتمكن (نور) وفريقه
من الانطلاق في رحلتهم ، دون أن يكشف خصومنا
الآليون أمرهم ، ويطاردوهم عبر الكون الفسيح .

تنهّد القائد الأعلى . وهو يتراجع في مقعده ،
ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلاً :

- هل تعتقد أنه هناك أمل ؟!

صمت الدكتور (جلال) بضع لحظات ، قبل أن
يجيب في خفوت :

- لست أدري .

ثم لوّح بذراعه كلها ، مستطرداً :

- لا أحد يدري .. لا أحد يمكنه الجزم .. الأمل
الوحيد لدينا هو أنهم سينطلقون في رحلتهم ، تحت
أنف الغزاة ، الذين لن يعلموا بوجهتهم هذه المرة ،

بعد إيقاف مفعول جاسوسهم الإلكتروني الصغير ،
المتغلغل في كل نظامنا .

سأله القائد الأعلى في قلق :

- وماذا لو علموا ؟!

مط الدكتور (جلال) شفتيه ، وهز رأسه في قوة ،
قائلاً :

- ستكون كارثة .

ثم التقط نفساً عميقاً ، وكأنما يحاول تهدئة أعصابه
واتفعالاته ، قبل أن يتابع :

- فلو علم الغزاة بوجهة فريقنا ومهمته ، سيجن
جنونهم الآلى ، وسيسعون لمنع اكتمال المهمة بأى
ثمن .

تمتم القائد الأعلى :

- أى ثمن ؟!

أوما الدكتور (جلال) برأسه إيجاباً ، وأكد :

- نعم .. بأى ثمن ، فنجاح مهمة (نور) وفريقه
يعنى أن يخلق طريقهم إلى عالمنا إلى الأبد ، مما
يعنى بالتبعية فشل حملة الغزو ، وهذا ما لن يمكنهم
احتماله قط .

تمتم القائد الأعلى ، وكأنما يحدث نفسه :

- إيهم آليون .

أشار الدكتور (جلال) بسبائته ، قائلاً في حزم :

- آليون مفكرون .. لا تنس هذا أبداً .. ولديهم

أيضاً هدف عجيب ، ألا وهو القضاء على كل صور
الحياة بلا رحمة ، فى أى عالم يبلغونه ؟!

هز القائد الأعلى رأسه ، مغمغماً :

- الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، لماذا يسعون
لهذا الهدف الدموى البغيض .

ثم اعتدل ، مستطرداً فى توتر :

- ولكنك لم تخبرنى ، ما الذى تتوقعه ، لو علم
الغزاة بمهمة (نور) وفريقه ؟!

عاد الدكتور (جلال) يطم شفتيه ، مجيباً :

- أبسط ما يمكن فعله ، هو أنهم سيهاجمونهم ،
عند مدخل طريق النجوم إلى عالمنا .

وصمت لحظة ، ثم تابع بصوت مرتجف :

- ويسحقونهم سحقاً .

خفق قلب القائد الأعلى فى عنف ، مع سماعه
العبارة الأخيرة ، وعاد يتراجع فى مقعده بمنتهى
البطء ، متمتماً :

- يا إلهي ! أنت على حق يا رجل .. ستكون
كارثة .. كارثة رهيبة ..
وعاد قلبه يخفق بقوة أكثر ..
وبغف بلا حدود ..

★ ★ ★

ضغطت (نشوى) زرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها
في سرعة وحماس ، وهى تعدّ برنامجها الخاص ،
للقضاء على فيروس الغزاة ، داخل شبكة الكمبيوتر
الرئيسية ، وتمتعت فى الفعال :
- هيا أيها الجاسوس الحقيق .. اقض لحظاتك الأخيرة ،
قبضطة زر واحدة ، سينتهى أمرك إلى الأبد ..
وارتفعت سبابتها ، واستعدت لضغط الزر الأخير ،
وهى تضيف :

- وداعاً أيها الحقيق ..
وانخفضت سبابتها نحو الزر ، و ...
وفجأة ، اقتحم (نور) الحجرة فى عنف ، واندفع
نحوها كالصاروخ ، فتراجعت مذعورة ، وهى تهتف :
- أبى ؟ ماذا ؟؟

قبل أن تتم عبارتها ، وثب (نور) نحوها ، وكنم

فمها بيده ، وهو يدفعها بعيداً عن جهاز الكمبيوتر
الخاص بها ، على نحو أسقطتهما معاً أرضاً ، فى
نفس اللحظة التى وصلت فيها (سلوى) إلى المكان ،
هاتفه :

- (نور) ؟! ماذا دهالك ؟! كيف ...

أشار إليها (نور) بالصمت فى صرامة ، وهو
يحمل ابنته ، ويدفعها إلى النهوض ، دون أن يرفع
كفه عن فمها ، فأتسعت عيناها فى ارتياح ، تضاعف
وهو يدفعها أمامه ، إلى خارج الحجرة ، و (أكرم)
يتساءل فى حيرة عصبية :
- ماذا حدث بالضبط ؟!

واصل (نور) اندفاعه مع ابنته ، نحو مقر الفريق ،
وهو يشير للجميع بالصمت ، حتى بلغ المقر ، فرفع
يده عن فم ابنته ، هاتفاً :
- أخيراً !

أسرع (رمزى) يحتوى زوجته بين ذراعيه ،
وهو يهتف مستكراً :

- ماذا تفعل بالضبط يا (نور) ؟!

لهتت (نشوى) فى انفعال ، وهى تجيب سؤال زوجها :

- أنا أعلم ماذا كان يفعل !؟

بدا الارتياح على وجه (نور) ، وهو يغمغم :
- حمداً لله .

التفتت العيون كلها إلى (نشوى) فى تساؤل ، فتابعت بنفس الانفعال :

- أريد أن يمنعنى من القضاء على الجاسوس الإلكتروني .

فجر جوابها دهشتهم أكثر ، فهتف (أكرم) :
- ولكن لماذا ؟؟ أليس هو من طالبك بالقضاء عليه ؟؟

أجاب (نور) هذه المرة :

- ومن حسن الحظ أن انتبهت إلى خطأ هذا ، فى الوقت المناسب ..

سأله (رمزى) فى حيرة :

- أى خطأ ؟؟

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

- أنت بالتحديد نبهتني إليه يا (رمزى) .



قبل أن تتم عبارتها ، وثب (نور) نحوها ، وكنتم فمها بيده ، وهو يدفعها بعيداً عن جهاز الكمبيوتر الخاص بها ..

هتف (رمزى) فى دهشة :

- أنا ؟

أوما (نور) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم يا (رمزى) .. أنت .. عندما أشرت إلى

ما سيصيب الغزاة ، عندما يدركون أننى قد كشفت
أمرهم .

تساعل (أكرم) :

- وماذا فى هذا ؟

أجابه (نور) فى حزم :

- لقد انتهت عندئذ إلى أن معرفتهم لما حدث
ستغضبهم ، لو أنهم أصحاب عقول حية مفكرة ،
ولكن المشكلة هى أنهم عقول آلية بحتة ، لذا فما
إن يكشفوا ما حدث ، حتى ينتقلوا آلياً إلى الخطوة
التالية ، التى قد تكون انتقالتهم إلى جاسوس آخر
بديل ، نجهل كل شيء عنه ، أو يلجئون إلى ضربة
عقابية ، تضيع معها عشرات الأرواح ، وتراق لها
أنهار من الدم .

ثم أشار بسبابته ، قبل أن يضيف :

- الأكثر خطورة وأهمية ، هو أن جهلهم بما
عرفناه ، يمنحنا فرصة نادرة لاستغلال معارفنا هذه ،
إلى أقصى حد .

سألته (سلوى) فى لهفة :

- كيف ؟

أجاب فى سرعة ، وهو يتسم ابتسامة خبيثة :
- بأن نتظاهر بجهلنا لوجود ذلك الجاسوس
الإلكترونى ، وننقل إليهم ما نريد نحن أن يعلموه
فحسب .

تألفت عينا (أكرم) ، وهو يهتف :

- آه .. فهمت .. نفس اللعبة القديمة .. سنجد
جاسوسهم ضدهم ، دون أن يدرك أو يدركوا ..
سنصنع منه جاسوساً مزدوجاً ، نوجه من خلاله
ضرباتنا إليهم .

هتف (نور) :

- بالضبط .. سنتحدث من خلال سيناريو مدروس؛
لينقل إليهم جاسوسهم ما يوحى بروح انتهازية ،
ورغبة قوية فى الاستسلام .

أشار (رمزى) بسبابته ، قائلاً :

.. ليس بصورة مبالغَة ، وإلا أتركوا الخدعة ، فمن
المؤكد أن لديهم دراسة كافية عن شخصياتنا .

أجابه (نور) :

.. فليكن .. عليك أنت بإعداد السيناريو ، ولكن فى
خلال دقائق معدودة ، فمن الضرورى أن ننقل إليهم
الصورة التى نريدها كاملة ، قبل أن ننتقل خلفهم .

قال (رمزى) فى حماس :

.. اطمئن يا (نور) .. سأبذل قصارى جهدى .

ثم تنهَّد فى قوة ، وابتسم ، قائلاً :

.. ألم أقل لك : إنك عبقرى يا (نور)؟! ما فعلته الآن
يعنى أن تاريخ عالمنا قد اتخذ مساراً جديداً بالفعل ،
أنتشم أن يكون أفضل من ذلك العالم الآخر ، و ...
قبل أن يتم عبارته ، اتبعث ذلك الضجيج بقتة ..
وبمنتهى القوة ..

وارتج المكان كله فى عنف ..

عنف يوحى بأنه من المحتمل أن يكون مصير
عالمهم أسوأ ..
بكثير ..

★ ★ ★

كل شيء هادئ فى (الإسكندرية) ..

كل شيء ..

الحياة تسير على الوتيرة نفسها ..

الناس منهمكون فى أشغالهم وأعمالهم ..

السيارات تقطع طريق الكورنيش بسرعة ..

المارة يتهادون فى بساطة ، و ..

وفجأة ، اتبعث ذلك الضجيج ..

اتبعث بقتة ، كما لو أن معركة حامية الوطيس قد

نشبت فجأة خلف السحاب ..

وبدهشة تمتاز بالرعب والفزع ، ويتساؤل حائر

مذعور ، ارتفعت عيون الجميع إلى أعلى ..

وفى اللحظة نفسها ، انشقت السماء ..

أو هكذا خيل للكل ..

لقد ظهرت فيها بقتة ثغرة سوداء واسعة ، اندفعت

عبرها خمس مقاتلات عجيبة الشكل ، أشبه بسرب

من النحل العملاق ، انقض فى عنف وشراسة ، على

كل ما يسير على الأرض ..

المركبات ..

السيارات ..

الدراجات البخارية ..

الحيوانات ..

وحتى البشر ..

و ..

وفجأة ، برزت سبع مقاتلات أرضية مصرية ..

وانقضت على مقاتلات الغزاة ..

وانطلقت حزم الليزر تشق السماء ..

ولكن مقاتلات الغزاة ، اتبعت التكنيك نفسه ..

مقاتلتان منها انقضت على مقاتلاتنا ، وتبادلت

معها إطلاق النار في عنف ..

ومقاتلتان انقضتا على المركبات ..

والسيارات ..

والبشر ..

أما المقاتلة الأخيرة ، فقد انخفضت بسرعة

مدهشة ، حتى سارت فوق رؤوس المارة المذعورين

تماماً ، ثم انطلقت إلى الجنوب الغربي بسرعة مخيفة ..

وانطلقت صرخات رعب هائلة ، والجميع يعدون

في كل الاتجاهات ، وكأنها أتت من قلب الجحيم ..

وانطلقت السيارات تحاول الفرار ..

وعوت الحيوانات مذعورة ..

وانهمرت حزم الليزر ..

وسحقت السيارات ..

وأبادت البشر ..

وأسقطت اثنتين من مقاتلاتنا ..

ولكن النسور الخمسة الباقين انقضت ..

وهاجمت ..

وأطلقت حزم الليزر ..

وانفجرت مقاتلات الغزاة ..

وهوت ..

مقاتلتان سقطتا محطمتين ، في نفس اللحظة التي

انطلقت فيها الأخريان إلى أعلى ..

وانشق ذلك الثقب الأسود ثانية ..

وانطلقت المقاتلتان نحو ..

ولكن حزمة من أشعة الليزر، أطلقها أحد نسورنا ،

سحقت إحدى المقاتلتين ، قبل أن تبلغه ..

ونجحت الثانية في تجاوزه ..

ثم اختفى الثقب ..

وتلاشى الضجيج دفعة واحدة ..

وبخلاف صوت مقاتلاتنا ، وهى تحوم فى السماء ،
ساد هدوء عجيب ..

وعلى الرغم من انتصارنا ، فى تلك المواجهة
الجوية الأولى ، كان لذلك الهدوء رائحة مخيفة ..

رائحة الدم ..

والموت ..

* * *

« (الإسكندرية) .. (المنيا) .. (بنى غازى) ..
(الرباط) .. (مارسيليا) .. (نابولى) .. (منشستر) ..
(بكين) .. (ليننجراد) .. (سيدنى) .. (بيروت) ..
(بوينس آيرس) .. (البرازيل) .. (واشنطن) ..
(لوس انجلوس) .. كلها تلقت الضربة نفسها ، فى
نفس اللحظة ، بنفس الترتيب الذى جاء به شبيهاك
يا (نور) ، مع اختلاف الزمن ، وحجم الخسائر ،
وعدد المقاتلات .. »

نطق الدكتور (جلال) الكلمات فى توتر بالغ ، وهو
يتنقل بسبابته على خريطة العالم ، قبل أن يتابع :

- وفى كل المواقع لم تستغرق المواجهة سوى

ثلاثين ثانية فحسب ، انسحبت بعدها المقاتلات الناجية ،
بعد أن أدركت أننا كنا نعلم مواقعها ونقاط هجومها ،
وننتظرها مستعدين ، وليس كما حدث فى ذلك العالم
الآخر ..

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :
- المفترض أنهم لا يعلمون تفاصيل ما حدث فى
العالم الآخر ..

أشار الدكتور (جلال) بسبابته ، قائلاً :
- ولكنهم يعلمون أننا نعلم .
لوح القائد الأعلى بذراعه ، قائلاً :
- وحتى لو كانوا يجهلون ، فقد علموا الآن ..
ليس من المنطقى أن ننتظرهم عند كل نقاط
الهجوم ، دون أن تكون لدينا خريطة كاملة لمواقع
هجومهم .

مط (نور) شفثيه ، مغمفماً :
- للأسف .

التفت إليه الرجلان فى دهشة ، وهتف القائد
الأعلى مستنكراً :

- للأسف !؟

أجابته (نور) فى حزم :

- للأسف أنهم يعلمون أننا نعلم ، فهذا سيدفعهم
حتمًا إلى تغيير خططهم ، وتعديل استراتيجيتهم ،
وانتقاء مواقع جديدة للهجوم ، لا نعلم عنها شيئًا ،
ويمكنهم منها تكبيدنا خسائر جمة ، تأثير المزيد من
الذعر والانهيار .

تبادل الرجلان نظرة متوترة ، وقلب الدكتور
(جلال) كفيه ، قائلاً :

- ما باليد حيلة ؟!

تمتم (نور) :

- بالتأكيد .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، مضيقًا :

- كل ما أرجوه الآن هو ألا يكون هذا قد دفعهم إلى
تغيير موقعهم ، أو إقامة نقاط حراسة قوية ، على
مدخل طريق النجوم إلى عالمنا !

هز الدكتور (جلال) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لن يكون عندهم الوقت الكافى لهذا .. ثم إنهم لن
يعلموا وجهتهم أبدًا ، بعد إعادة برمجة المكوك (ابن
ماجد) ، والقضاء على جاسوسهم الإلكتروني داخله .

عاد (نور) يلقى نظرة على ساعته ، مغمضًا :

- فلننتقل إذن فى موعدنا تمامًا .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، قائلاً بصوت
مبحوح ، من فرط الانفعال :

- انطلقوا يا بنى ، على بركة الله .

نطقها ، وقلبه لا يشعر بالارتياح أبدًا ..

ففى جزء ما من أعماقه ، كان لديه شعور بأن
الأمور لا تسير على ما يرام ..

وأنه من المحتمل أن ينطلق أفراد الفريق فى
رحلتهم ..

ثم لا يعودوا منها ..

أبدًا ..

ومهما كانت النتائج ..

« من المكوك (ابن ماجد) إلى القاعدة الأرضية ..

كل شيء على ما يرام ، ونحن نستعد للانطلاق ، فور

انتهاء العد التنازلى .. »

نطق (نور) عبارته فى حزم ، وهو يضغط زررار

المكوك ، فاستقر كل من رفاهه على مقعده ، وأحكم

رباط حزامه ، وحبسوا جميعاً أنفاسهم ، والعد
التنازلى يقترب من الصفر ، فى نفس الوقت الذى
ينبعث فيه صوت الدكتور (جلال) ، عبر جهاز
الاتصال ، وهو يقول :

- من القاعدة إلى المكوك (ابن ماجد) .. قلوبنا
معكم .. هيا .. انطلقوا على بركة الله .

ومع آخر حروف كلماته ، اشتعلت المحركات
النهائية للمكوك ..
وانطلق ..

ومع انطلاقه ، خفت قلوب الجميع فى عنف ..
حتى (نور) ..

ودوت فى آذانهم فرقة مكتومة ، مع قشعريرة
باردة كالثلج ، سرت فى أجسادهم ، ورياح ساخنة
كالجحيم ، هبت فى وجوههم ..
وفى لحظة واحدة تقريباً ، قفزت إلى أذهانهم صور
مختلفة ..

(أكرم) تساءل : هل سيتمكن العودة سالمين ،
بعد أن يتموا مهمتهم .

و (سلوى) انكمشت داخل نفسها فى خوف ،

وذهنها يرسم ألف صورة وصورة ، لذلك الإمبراطور
الآتى العملاق ، فى سفينة الغزاة .

و (نشوى) راحت تعيد كل حساباتها ، الخاصة
بالرحلة ، وذلك الجاسوس الإلكتروني العجيب ..

و (رمزى) تساءل فى قلق : هل انفصل تاريخ
العالمين حقاً ؟!

أما (نور) ، ففى تلك اللحظة ، وبينما ينطلق بهم
مكوك الفضاء (ابن ماجد) ، عبر طريق النجوم ،
راح ذهنه يراجع الأسئلة ، التى ألقاها عليه شبيهه
المعكوس ..

وانطلق عقله يبحث عن الأجوبة ..

كل الأجوبة ..

ولكن الوقت لم يمهله ..

ف فجأة ، وثب بهم المكوك إلى الفضاء الخارجى ..

إلى نقطة تبعد سنة ضوئية كاملة عن أرضهم ..

ولثوان بدت لهم الصورة كلها مرتبكة مشوشة ..

ثم اتضحت دفعة واحدة ..

وأمام أعينهم ، وإلى مدى البصر ، امتد الفضاء

اللاتهالى ..

هادئاً ..

خالياً ..

سرمدياً ..

وفي خفوت ، وكأنما يخشى أن يفسد الصمت
والهدوء ، تتمم (أكرم) :

- هل وصلنا ؟!

أجابته (نشوى) ، وهي تراجع بيانات الكمبيوتر
في سرعة :

- نعم .. إنها نقطة الدخول الرئيسية إلى عالمنا ..

تلقت (رمزي) حوله ، مغمغماً :

- عجباً ! كنت أتصور أننا سنجد الغزاة هنا .

هزت (سلوى) رأسها ، وهي تعمل على جهاز

الذبذبات الفائقة ، قائلة :

- لست أظنهم بهذا الغباء .. ألم تقرأ مذكرات شببيه

(نور) ؟! إنهم يكمنون في نقطة أخرى ، في شبكة

طريق النجوم ، ولا يثبون إلى نقطة الهجوم إلا في

اللحظة المناسبة فحسب .

تمتم :

- فهمت .

واصلت (سلوى) عملها في سرعة ، وهي تقول :

- أعتقد أن أفضل ما نفعله الآن هو أن نبدأ عملنا

على الفور ؛ لإغلاق طريق النجوم هذا في وجه الغزاة .

سألها (أكرم) في توتر :

- ماذا ستفعلين بالضبط ؟!

أجابته في انفعال :

- مهمتي أن أصل بالذبذبة إلى الدرجة المطلوبة .

وعلى (نشوى) أن تتابع الذبذبة ، حتى تبلغ اللحظة

المناسبة ، ليتم إيقافها على نحو حرج .

سألها في عصبية :

- وماذا سيحدث عندئذ ؟!

فرقع (رمزي) سبأته وإبهامه ، قائلاً :

- سينغلق طريق النجوم على الفور .

ازدرد (أكرم) لعابه ، مغمغماً :

- وماذا عنا ؟!

سأته (سلوى) :

- ماذا تعني ؟!

أشار بيده ، قائلاً في عصبية :

- أعني ما موقفنا ، في اللحظة التي سيتم فيها

إغلاق طريق النجوم ؟! في أي جانب سنكون عندئذ .

تبادل (نور) و (سلوى) و (نشوى) نظيرة متوترة ، قبل أن تجيب (نشوى) :
 - فى نفس اللحظة ، التى سنبدا فيها خطوتنا الأخيرة ، سنطلق عبر أسطوانة صوتية خاصة ، فى محاولة للعودة إلى عالمنا .
 سألها (رمزى) :
 - وما احتمال نجاحنا فى هذا ؟!
 ترددت لعابها ، قبل أن تجيب فى عصبية :
 - ليس كبيراً .
 سألها (أكرم) فى حدة :
 - كم ؟!
 ترددت لعابها مرة أخرى ، وانخفض صوتها كثيراً ، وهى تجيب :
 - واحد فى المائة .
 تراجع (رمزى) بحركة حادة ، واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، والتعد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :
 - لقد اطلقنا ، وجميعنا يعلم أنها مهمة انتحارية ..
 ليس كذلك ؟!

تمتم (أكرم) :
 - بالتأكيد .
 ثم أشار إلى (نشوى) ، قائلاً :
 - هيا .. واصلى عملك ، على بركة الله (سبحانه وتعالى) ..
 ضغطت (نشوى) أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، وغمغت :
 - يمكنك إطلاق الذبذبة بعد عشر ثوان ، أو ...
 بترت عبارتها بغتة ، وهى تطلق شهقة قوية ، جعلت الجميع يهتفون فى آن واحد :
 - ماذا حدث ؟!
 تراجعت بدورها ، وهى تشير إلى الكمبيوتر ، هاتفه :
 - أليس من المفترض أن أجهزة المكوك كلها تمت إعادة برمجتها ثانية .
 قال (نور) فى توتر :
 - بالتأكيد .
 ارتجفت سبابتها المشيرة إلى الكمبيوتر ، وهى تقول :



ارتجف صوتها مع سبابتها هذه المرة ، وهي تجيب :
- الجاسوس ..

- ولكنه هنا .

سألها (أكرم) ، في قلق حائر :

- من هو ؟!

ارتجف صوتها مع سبابتها هذه المرة ، وهي

تجيب :

- الجاسوس .

ومع آخر حروف كلماتها ، ارتج الموك كله في

عنف ..

ثم انشق الفضاء عن المقاتلات ..

عشر من مقاتلات للغزاة دفعة واحدة ، أحاطت

بالموك ، والتفتت إليه بكل أسلحتها ..

وكل شراستها .



٥ - أسرى الفضاء ..

مسحت (مشيرة محفوظ) ، صحيفة أنباء الفيديو الشهيرة دموعًا ، بدأت تنحدر من عينيها ، وهي تقف في موقع المذبحة ، على كورنيش (الإسكندرية) ، وتمسك (ميكروفون) البث بيد قوية مرتجفة ، قائلة :
- سيداتي سادتي .. شاهدوا (أنباء الفيديو) في كل مكان .. إننا نتحدث إليكم من ساحة القتال .. معذرة .. من المذبحة التي صنعها غزاة الفضاء بمواطنينا الأبرياء .. غزاة الفضاء .. دعونا نتوقف طويلاً عند هذا المصطلح!! أهذا بالفعل من عمل غزاة فضائيين؟! هل تواجه الأرض شبح احتلال جديد؟! هل سنحيا مرة أخرى ذلك الجحيم ، الذي لم تتلاش آثاره كلها بعد؟! ها هي ذى (القاهرة) القديمة ، على بعد أمتار قليلة منا ، شاهدة على ما فعله بنا غزو سابق .. حتى بعد رحيل الغزاة .. صدقوني .. إننى أشارككم الرعب نفسه .. لا يمكننى أن أتصور ما يمكن أن يحدث ، لو بلينا بغزو جديد .. لا يمكننى أن أتخيل ..

« لقد توقّف البث .. »

ارتفع صوت مساعدتها بالعبارة ، فى عصبية شديدة ، فاتفقت حاجباها فى توتر شديد ، وهى تهتف :
- ماذا تعنى بأن البث قد توقّف؟! من جرؤ على إيقافه؟!!

اتفرجت شفتا مساعدتها ؛ ليجيب السؤال ، ولكن صوتاً صارماً اتبعث من خلفه ، يقول :
- أنا .

أدارت عينيها فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم اتفقت حاجباها فى شدة ، عندما وقع بصرها على رجل ممشوق القامة ، عريض المنكبين ، حاد القسمات ، تقدّم نحوها ، وهو يقدم نفسه فى صرامة ، قائلاً :
- العميد (أشرف لبيب) .. من هيئة الأمن القومى .

قالت فى عصبية :
- تشرّفنا .. والآن لماذا أوقفت البث؟!
أجابها فى برود لا يخلو من الحزم :
- أمن الدولة يحتم هذا .
صاحت فى غضب :

- أمن الدولة ؟! أى أمن وأية دولة ؟! وما صلة
أمن الدولة بما نقول ؟! إننا نصف حادثة يعرفها
الجميع ..

أجاب فى صرامة :

- بل تنقلون صورة بشعة للمواطنين ، على نحو
يكفى لإصابتهم برعب هائل ، نحن فى غنى عنه ، فى
هذه الظروف .
هتفت محنقة :

- ننقل ماذا ؟! لو أنك لا تعلم فالأمر لم يعد بحاجة
إلى نقل أية صورة يا هذا .. إنه حدث عالمى .. كل
قارة فى العالم أصابها ما أصابنا ، وكلها تبث ما حدث ،
عبر أقمار صناعية ، تنقله إلى العالم أجمع ، فلماذا
نتخلف عن الركب .

صاح فى صرامة شديدة :

- أى ركب يا سيّدة (مشيرة) ؟! إننا ..
قبل أن يتمّ عبارته ، اتبعث أزيز جهاز الاتصال
الخاص فى جيبه ، فالتقطته فى سرعة ، قائلاً :
- العميد (أشرف لبيب) .

اتعقد حاجباه ، وهو يستمع إلى محدثه فى اهتمام ،
ثم احتقن وجهه ، وهو يتمم :

- ولكن يا سيّدى ..

بتر عبارته مرة أخرى ، وازداد احتقان وجهه
أكثر ، وهو يغمغم :

- كما تأمر يا سيّدى .. كما تأمر .

قالها ، واتعقد حاجباه فى غضب أكثر ، وهو يعيد
جهاز الاتصال إلى جيبه ، ويلتفت إليها ، قائلاً فى
حنق :

- فليكن يا سيّدة (مشيرة) .. يمكنك مواصلة
عملك .

اتفغر فاهها دهشة ، وهى تسأله :

- ماذا حدث ؟!

لوح بذراعه هاتفًا ، وهو يغادر المكان فى
عصبية :

- سليلهم فى القيادة ؛ فهم الذين أصدروا الأمر
بهذا .

هتفت :

- حقًا ؟!

لم يجب تساؤلها ، وهو يثب فى سيارته ، وينطلق
بها مبتعدًا ، فلوحت هى بذراعها لمساعدتها ، هاتفًا :

- هيا يا رجل .. أعد البث .

ضغط بضعة أزرار ، ثم أشار إليها بإبهامه ،
فهمت عبر الميكروفون :

- سيداتى سادتى .. هنا (مشيرة محفوظ) ،
تعود إليكم من موقع الأحداث ، بعد انقطاع قصير ،
خارج عن إرادتنا .. وصدقونى أيها السيدات والسادة ،
فعلى الرغم من كل ما حدث ، ومن عشرات القتلى
والمصابين ، الذين أسفرت عنهم المواجهة الأولى
مع الغزاة ، إلا أن ما حدث ، خلال فترة الانقطاع
القصيرة ، يؤكد أننا على مشارف عصر جديد ..
عصر صرنا فيه أقرب إلى النصر .. ألف مرة .

قالتها على نحو انتفضت معه قلوب كل سكان
الأرض ..

وولدت معه ثورة جديدة فى الأعماق ..
ثورة مفعمة بالحماس ..
والأمل ..

* * *

اتهمك العالم المسئول عن المكوك (ابن ماجد) ،
فى مراجعة بعض أوراقه ومستنداته ، وملفاته

المخزنة على الكمبيوتر ، واستغرقه هذا تمامًا ، حتى
إن جسده كله قد انتفض فى عنف ، عندما أتاه صوت
الدكتور (جلال) من خلفه ، متسائلاً :

- أما زلت تستخدم جهاز الكمبيوتر القديم ؟!

استدار فى سرعة إلى مصدر الصوت ، والتقط
نفساً عميقاً لتهدئة أعصابه ، قبل أن يهتف :

- دكتور (جلال) ؟! لقد أفرعتنى .

كرّر الدكتور (جلال) سؤاله فى صرامة :

- لماذا تستخدم الكمبيوتر القديم ؟!

هزّ العالم كتفيه فى ارتباك ، مجيباً :

- لقد اعتدت استخدامه ، ثم إنه يحوى عشرات
البرامج والـ ...

قاطعه الدكتور (جلال) فى حدة :

- قل لى يا رجل : هل استخدمت هذا الكمبيوتر ،

فى إعادة برمجة المكوك (ابن ماجد) .

تردّد الرجل لحظة ، قبل أن يجيب :

- الواقع أن ..

صاح به الدكتور (جلال) :

- هل استخدمته أم لا ؟!

أزدد العالم لعباه فى توتر ، وقال :

- لقد أردت إنجاز العمل بسرعة أكبر ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، انقض عليه الدكتور (جلال)
فى عنف غاضب ، وجذبه من سترته ، ليرفعه عن
الأرض بمقدار عشرة سنتيمترات ، ويلصقه بالجدار
فى قوة ، وهو يصرخ فى وجهه :

- أيها التمس .. ألا تدرك ما فعلته .. ألا تدرك أية
مصيبه تسببت فيها .

اتسعت عينا العالم فى هلع ، وهو يهتف :

- كان الوقت ضيقا ، و ...

قاطعه بصيحة هادرة :

- أى وقت أيها التمس ؟! أى وقت ؟! إنك لا تدرك
ما فعلته بإهمالك وتجاهلك الأوامر على هذا النحو ..

ثم تركه يسقط أرضا ، وهو يضيف فى مرارة :

- لقد تسببت فى إفساد وتدمير آخر أمل لنا ، فى
مواجهة ذلك الغزو الرهيب .

اتسعت عينا الرجل ، فى هلع أكثر ، وهو يردد ،
وقد أدرك فداحة ما فعل :

- يا إلهى ! يا إلهى !

هز الدكتور (جلال) رأسه فى حدة ، قائلا :

- ادع الله على الأقل ، أن يعيد إلينا خيرة
شبابنا ، الذين وضعهم إهمالك فى موقف بالأس
رهيب .

غمغم العالم ، وهو ينهض من سقطته :

- أتقصد (نور) وفريقه ؟! ولكنك لم تحبهم أبدا ..
لقد أخبرتنى أكثر من مرة أنك تبغض غرورهم ،
وإحساسهم الزائف بالتفوق ، و ...

هوى الدكتور (جلال) على وجهه بكلمة قوية
مباغثة ، وهو يصرخ :

- أيها الغبى .

اتسعت عينا العالم فى ذهول ، وهو يتراجع فى
عنف ، ورأسه يرتطم بالجدار خلفه ، قبل أن يسقط
فاقد الوعي ..

وبكل مرارة الدنيا ، أخفى الدكتور (جلال) وجهه
بين كفيه ، متمتعا فى مرارة :

- ساعدهم يا إلهى ! ساعدهم .

وهز رأسه فى قوة ، مستطردا :

- ساعد الأرض كلها .

وبعد قوله هذا ، اختنقت الكلمات فى حلقه ..
بشدة ..

خفقت قلوب الجميع فى عنف ، عندما أحاطت بهم
مقاتلات الغزاة ، وخيل إليهم أن خيوط الليزر ستنهال
عليهم من كل صوب ، دون شفقة أو رحمة ، كما
أثبتتهم مذكرات شبیه (نور) ، و ...

ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ..

لقد أحاطت بهم مقاتلات الغزاة ، الشبيهة بالنحل
العملاق ، وتوقفت حولهم فى الفضاء ، دون أية
بادرة للهجوم ، فغمغم (أكرم) فى عصبية :

.. ما الذى يسعى إليه هؤلاء الأوغاد بالضبط ؟!

إرهابنا ؟

أشار إليه (نور) ، قائلًا :

.. بل أكثر من هذا بالتأكيد ، فقد توقفت كل أجهزة
المكوك .

اتسعت عيونهم فى ارتياح ، وهتف (رمزى) :

.. ربّاه ! اتعلمون ما الذى يعنيه هذا ؟!

لم يعلق أحدهم على سؤاله ، فتابع فى حزم عصبى :

.. إنهم سيعيدون ما فعله أقرانهم ، فى العالم
الآخر .

ومع آخر حروف كلماته ، بدأ المكوك يتحرك ،
وسط المقاتلات المحيطة به ، نحو ثغرة بدأت تتكوّن
فى الفضاء ، فتشبّثت (نشوى) بزوجها ، هاتفة :

.. (رمزى) .. ماذا سيفعلون بنا ؟!

ضمّها إليه فى قوة ، مجيبًا :

.. لست أدرى يا حبيبتى .. لست أدرى .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

.. ولكن أحياناً لن يمسّ شعرة واحدة منك بسوء ،

ما دمت على قيد الحياة .

والتفّض جسدها الضليل بين فراعينه ، عندما نطق

عبارة هذه ..

لقد استعاد ذهنها ما نقله إليهم (نور) العالم

الآخر ..

وفى أعماقها ، هتفت :

.. المهم أن تظلّ على قيد الحياة .

ومع هتافها ، الذى لم يسمعه أحد ، عبر المكوك

تلك الثغرة الفضائية ، محاطاً بمقاتلات الغزاة ..

وعلى الرغم من أن الكل كانوا يتوقعون ما سيواجههم ، فقد اتسعت عيونهم جميعاً في انبهار ، وهم يحدقون فيما أمامهم ..

فعلى الرغم من اتساع الفضاء ولا نهائيته ، بدت سفينة الغزاة أمامهم هائلة إلى حد مخيف ، لا يمكن تخيله ..

كيان هائل عملاق ، فى حجم كوكب كامل ، يسبح فى الفضاء ، محاطاً بأعداد مهولة من المقاتلات ، يكاد يبلغ المليون مقاتلة ، على أدنى تقدير ..

ولثوان ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، والمكوك يسبح ، محاطاً بمقاتلات الغزاة ، نحو فجوة مضاعة ، فى سفينة الغزاة ، التى تتكوّن من عدة كرات معدنية عملاقة ، تربطها ممرات ضخمة بعضها ببعض ، على نحو يبدو لا نهائى ..

وفى خفوت ، تتمم (نور) :

- من الواضح أن الزاوية التى ننطلق بها ، تتيح لنا رؤية أفضل لسفينة الغزاة ، فنحن نرى تفاصيل لم يذكرها شبيهى قط .

غمغمت (سلوى) :

- أو أنها سفينة أخرى .

اتعقد حاجباه فى شدة ، وهتفت (نشوى) مذعورة :

- سفينة أخرى ؟! أمن الممكن أن تكون هناك

سفينة أخرى ، بهذا الحجم الهائل ؟!

بدا (أكرم) شديد العصبية ، وهو يقول :

- الآن أصبحت أعتقد أن كل شيء ممكن .

تتمم (رمزى) :

- صدقت .

وفى بضع عجب ، ووسط صفين من المقاتلات الفضائية ، راح مكوك الفضاء الأرضى ينساب ، نحو تلك الفجوة المضئية ، التى بدأت ملامحها تتضح أكثر وأكثر ، وبدأ داخلها ممر واسع مصقول ، يمتد إلى مسافة كبيرة ، ويتسع لهبوط عشر مقاتلات متجاورة ..

وفى نعومة مدهشة ، عبر المكوك ذلك الممر ، وراح ينطلق فيه لمائتى متر تقريباً ، تحيط به مقاتلات الغزاة ، حتى بلغ مساحة واسعة ، تتوسطها دائرة كبيرة ، هبط وسطها تماماً ، قبل أن ينبعث من أجهزة اتصاله صوت عجب ، أشبه بطرقات معدنية ، جعل (أكرم) يتمم فى حدة :

- ما هذا بالضبط ؟! هل سيأتى الإمبراطور الآلى شخصياً للترحيب بنا ؟!
 هز (نور) رأسه فى ببطء ، قائلاً :
 - لست أعتقد هذا .
 لم يكذب بعبارة ، حتى تحولت تلك الطرقات المعدنية إلى صوت آلى ، يقول :
 - أنتم الآن فى حضرة الإمبراطور .. غادروا مركبتكم على الفور .
 قال (رمزى) فى توتر :
 - آه .. نفس ما جاء فى مذكرات شبيهك يا (نور) .. التاريخ يعيد نفسه .
 أجابه (نور) فى حزم ، وهو يضغط زر فتح باب المكوك :
 - فى عالمنا ، لم يبدأ التاريخ بعد يا رجل .
 كانت أجهزة المكوك تشير إلى أن الفجوة خلفهم ما زالت مفتوحة ، وعلى الرغم من هذا ، فالضغط والهواء والحرارة صالحوون لخروجهم ، دون أزياء فضائية واقية خاصة ، فغادر جميعهم المكوك ، ووقفوا فوق امتداد أحمر ، أشبه ببساط من المعدن ،

وتمتعت (نشوى) فى عصبية ، وهى تحتضن ذراع زوجها :
 - ترى ماذا سيفعلون بنا ؟!
 تتمم (أكرم) متوتراً :
 - سنلتقى بإمبراطورهم المعدنى الحقيقى .
 قال (نور) فى صرامة :
 - اصمت .
 أما (رمزى) فربت على يد زوجته ، وهو يهمس فى أذنها بحنان مشفق :
 - اطمئنى يا حبيبتى .. لن أسمح لهم بمس شعرة واحدة من رأسك ، حتى ولو ...
 بتر عبارته بشهقة عصبية ، عندما ارتفع ذلك الصوت الآلى مرة أخرى بغتة ، عبر مكبرات صوت قوية هذه المرة ، ترددت فى القاعة الواسعة بعنف :
 - اسجدوا للإمبراطور .
 هتف (أكرم) فى غضب :
 - أى إمبراطور ؟!
 لم يكذب يطلق صيحته ، حتى انطفأت الأتوار فجأة ، وساد ظلام دامس ، هتفت خلاله (سلوى) فى ذعر :

- رباه ! ذلك الشيء الذى نقف فوقه يتحرك .
احتضنها (نور) فى قوة ، ليبيت فى نفسها شيئاً
من الطمأنينة ، وهو يقول فى شيء من التوتر :
- كنا نتوقع هذا .

أخفت رأسها فى صدره ، وكأنما تخفى معها خوفها
وذعرها ، وهى تتمتم :
- هذا صحيح .. هذا صحيح ..

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يحاول اختراق
الظلام ببصره ، وعقله يعيد طرح الأسئلة السابقة
كلها دفعة واحدة ..

لماذا هذا الظلام ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

ومع تساؤله ، سطعت الأضواء فجأة فى وجوههم ،
على نحو أغشى أبصارهم جميعاً لثوان ، قبل أن
يفتحوا عيونهم ، ويحدقوا فيما أمامهم بذهول تام ..
فهناك ..

وعلى بعد أمتار قليلة منهم ، كان ينتصب ذلك
العرش العملاق ، بارتفاع ثلاثة أمتار ، وعرض
مترين كاملين ..

وفوق ذلك العرش ، كان يجلس الإمبراطور ..
إمبراطور الغزاة الرهيب ..
والآلى ..

★ ★ ★

« الأمريكيون واليابانيون قرروا الاستسلام .. »
نطق وزير الدفاع المصرى العبارة فى توتر ، جعل
رئيس الجمهورية يهب من مقعده ، ويحدق فيه
بدهشة ، هاتفا :

- ماذا ؟! ولكن لماذا يتخذون قراراً كهذا ؟! لقد
اشتبكنا مع مقاتلات العدو بالفعل ، وأسقطنا بعضها ..
هز وزير الدفاع رأسه ، قائلاً :

- ليس فى كل الجبهات يا فخامة الرئيس ، كما أن
الاشتباك لم يمنع من سقوط ضحايا ومصابين ، بلغ
عددهم نصف المليون تقريباً ، ثم إن الأمريكيين
واليابانيين فحصوا المقاتلات ، التى تم إسقاطها ،
وأدركوا أنها مقاتلات آلية ، تقاتل بلا طيارين ، مما
يجعل مواجهتها شبه يائسة ، أمام بشر يقاتلون
بمشاعرهم وانفعالاتهم ..

هتف رئيس الجمهورية فى دهشة :

- ولكننا أخبرناهم كل ما لدينا ، وأبلغناهم أن الغزاة سيبيدون المستسلمين بلا رحمة .

زفر وزير الدفاع ، متممًا :

- من الواضح أنهم لا يصدقوننا .

لَوْح الرئيس بذراعه ، هاتفاً :

- ارسل إليهم نسخة من كل ما لدينا .. أثبت لهم

أننا نسعى لصالحهم فحسب ..

زفر الوزير مرة أخرى ، قائلاً :

- لقد فعلت .

اتسعت عينا الرئيس ، وهو يسأله :

- ولم يصدقوا ؟!

هزَّ وزير الدفاع رأسه نفياً في أسف ، فتراجع

الرئيس ، وترك جسده يسقط على مقعده ، وهو

يغمغم :

- يا للتعساء !

أشار وزير الدفاع بيده ، قائلاً :

- خيراؤهم رأوا أنه لو أن هدف الغزاة الرئيسى

هو إبادة كل صور الحياة على الأرض ، لما انسحبت

مقاتلاتهم الآلية ، التى تَبَقَّت بعد الاشتباك ، ولواصلت

القتال حتى النهاية ، باعتبار أنها لن تحافظ على

حياة لا تمتلكها .

قال الرئيس :

- ربما تحافظ على كفاءة عددية أو قتالية .

هزَّ الوزير رأسه ، قائلاً :

- يرون أن هذا غير منطقي ، فى ظل الكم الهائل

من المقاتلات ، الذى أشارت إليه مذكرات (نور)

العالم الآخر ، والذى يكفى لسحق قارة كاملة فى

دقائق معدودة .

اتعقد حاجبا الرئيس بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- فى هذه النقطة أظنهم على حق ، فالأمر محير

بالفعل .

قال الوزير فى توتر :

- رجال المخابرات العلمية أنفسهم يشعرون

بالحيرة ذاتها .. وخبراؤنا أيضاً فى الواقع ، وخاصة

وهم يعيدون دراسة كل التفاصيل ، التى جاء بها ذلك

الشبيه المعكوس ، فأغرب ما فى الأمر ، هو أن غزاة

العالم الآخر كانوا يهاجمون الدول فرادى ، وبأعداد

محدودة من المقاتلات .. صحيح أنها تفوق مجموع

ما لدى تلك الدول من مقاتلات ووسائل دفاع ، إلا أنها ما تزال محدودة ، نسبة إلى العدد الهائل ، الذى جاء وصفه .

تساءل الرئيس :

- ربما لا يمكنهم اختراق طريق النجوم بأعداد كبيرة .

هزّ الوزير رأسه نفياً ثانية ، وهو يقول :

- الخبراء نفوا هذا الاحتمال تماماً يا سيادة الرئيس .

ازداد انعقاد حاجبى الرئيس ، وهو يقول :

- ما السبب التحقيقى إذن ؟!

صمت الوزير بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- لا أحد هنا يدرى ما السبب .

ثم أشار بيده إلى أعلى ، مستطرداً :

- ربما يحصل من هناك على الجواب .

ردّد الرئيس متسائلاً :

- من هناك ؟!

أوما وزير الدفاع برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم يا فخامة الرئيس .. إننى أقصد رجل

المخابرات العلمية (نور الدين) وفريقه ، الذين يواجهون الخطر الحقيقى الآن فى الفضاء ، والذين سيحملون إلينا الكثير من الحقائق والمعلومات ، عندما يعودون إلينا .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- هذا لو عادوا إلينا .

حدّق الرئيس فى وجهه بضع لحظات فى صمت ،

قبل أن يتراجع فى مقعده ، متمتماً :

- نعم .. إذا عادوا إلينا .

وفى أعماقه ، ارتبطت العبارة بمزيج عجيب من

القلق ، والخوف ، و ...

والشك ..

لنصف دقيقة كاملة ، حدّق (نور) ورفاقه فيما

أمامهم بدهشة وانبهار كاملين ..

وكان الأمر يستحق بالفعل ..

فعلى الرغم من أن كلاً منهم كانت لديه الصورة

كاملة ، إلا أن مواجهة ذلك العملاق الآلى مباشرة ،

كانت أمراً يختلف تماماً .

ليس من السهل أبداً أن ترى أمامك شخصاً آلياً ،
يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار كاملة ، له رأس معدني ،
تتوسطه عين واحدة كبيرة ، تتحرك لتسبر وجوههم
وأغوارهم جميعاً ..

ومرة أخرى ، ارتفع ذلك الصوت الآلي ، يقول :

- اسجدوا للإمبراطور .

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول في صرامة :

- السجود لله (سبحانه وتعالى) وحده .

كرّر الصوت الآلي ، وكأنما لا يبالي بتعليق (نور) :

- اسجدوا للإمبراطور .

قال (أكرم) في عصبية ، وهو يتحسّن مسدسه

في حذر :

- ألم تسمع ما قاله قائدنا أيها الوغد؟! السجود لله

(سبحانه وتعالى) وحده .. وليس للبشر ، فما بالك

بالآلات ؟!

كرّر الصوت في رتابة :

- اسجدوا للإمبراطور .

ومع القول ، تحركت العين الواحدة للآلي العملاق ،

وكانها تفحص وجوه الجميع ، وتدرس ردود أفعالهم

المتوقعة ، فقال (رمزي) في حدة :

- من الواضح أنكم تعيشون في وهم كبير .. إننا
لن نسجد لإمبراطوركم المعدني هذا أو سواه ، ولن ..
تألفقت عينا (نور) بقتة ، واعتقد حاجباه في شدة ،
وهو يمسك يد (رمزي) في قوة ، ليمنعه من
الاستمرار ، وهو يقول في حزم :

- بل سنفعل .

التفت إليه الجميع في دهشة بالغة ، وهتفت

(سلوى) مذعورة مستكرة :

- ماذا تقول يا (نور) ؟!

أجاب في هدوء عجيب ، وهو يرفع عينيه إلى

الآلي العملاق :

- وهم .. كل هذا مجرد وهم .

بدا مزيج من الدهشة والحيرة على وجوههم ،

وغمغم (أكرم) :

- ما الذي يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجاب (نور) بنفس الهدوء العجيب :

- إنها آخر كلمات شبهي المسكين .. كله مجرد

وهم .

غمغم (أكرم) في توتر :



ومع قوله ، انطلق شعاع ليزر من مسدسه .. نحو عين الآلى
العملاق مباشرة ..

- لم أفهم شيئاً .
وفى اللحظة نفسها ، تعالى الصوت الآلى مكرراً :
- اسجدوا للإمبراطور .
ارتسمت ابتسامة غامضة عجيبة على شفتي
(نور) ، وهو يقول :
- الإمبراطور ؟! بالتأكيد .. إننا سنقدم للإمبراطور
الآلى العظيم كل ..
وسحب مسدسه الليزرى فى سرعة ، هاتفاً :
- كل اعتراضنا .
ومع قوله ، انطلق شعاع ليزر من مسدسه ..
نحو عين الآلى العملاق مباشرة ..
وفى نفس اللحظة التى تحطمت فيها العين الواحدة ،
صرخ (رمزى) :
- يا إلهى ! ماذا فعلت يا (نور) ؟!
صاح (نور) ، وهو يجذب زوجته وابنته ، بعيداً
عن البساط المعدنى الأحمر اللامع :
- فيما بعد يا (رمزى) .. سأشرح لكم كل شيء
فيما بعد .
وعلى الرغم من إصابته المباشرة ، لم يحرك الآلى
العملاق ساكناً .

ولكن صوتاً أشبه بزمجرة ثائرة عفيفة التطلق فى
القاعة ..

وعلى جانبى العرش الهائل، انفتح بابان صغيران..
واندفعت عبرهما عشرات من الأجسام الصغيرة ،
الشبيهة بالبعوض ، والتي انطلقت نحو أفراد الفريق
مباشرة ، وأجنحتها المعدنية تخفق بصوت مخيف ،
وإبرها الطويلة الممتدة من رءوسها ، تسعى
للاتغراس فى أجسادهم ، فى نفس اللحظة التى كرر
فيها الصوت المعدنى ، وكأنه لا يدرك ما حدث :
- اسجدوا للإمبراطور .

وتراجع أفراد الفريق كلهم فى سرعة ..
فما يحدث أمامهم ، كان صورة طبق الأصل ، مما
رواه (نور) العالم الآخر ..
ولكن النتائج ستختلف حتماً ، كما اختلفت كل
الظروف الأخرى من قبل ..
وهذا يعنى أنه من المحتمل أن تكون هذه هى
النهاية ..

نهاية فريق (نور) ..
بأكمله .

★ ★ ★

٦ - الخطة الثانية ..

« سيداتى ساداتى .. هنا (مشيرة محفوظ) ..
تحدث إليكم من شبكة (أنباء الفيديو) .. »
تردد صوت (مشيرة) فى كل منزل فى (مصر) ،
من أقصاها إلى أقصاها ، عبر شاشات الهولوفيزيون
وأجهزة التلفاز العادية ، والكل يتابعها فى لهفة قلقة ،
مع استطرادتها ، وهى تشير إلى شاشة كبيرة خلفها :
- كما ترون ، فالاستعدادات تتم ، على قدم وساق ،
فى كل شبر من مصرنا العظيمة ، استعداداً لملاقاة
الغزاة .. كل رجل وامرأة وطفل وشيخ يستعد
لمواجهتهم ، بكل قوته وإصراره وحزمه وعزمه ،
وإرادته وأمله .. لن نسمح لهم بغزونا مرة أخرى
قط .. لن نستسلم .. لن نستسلم أبداً ..
ارتجفت قلوب الجميع ، مع كلماتها الحماسية ،
والشاشة خلفها تنقل صور الاستعدادات ، فى كل أنحاء
(مصر) ، قبل أن تتغير الصورة ، وتنقل الشاشة

مشهد البيت الأبيض الأمريكي ، وقد وضعت على أرضية حديقته لوحة عملاقة ، كتب عليها :

- نحن نستسلم .. نريد السلام لا الحرب .

وحول اللوحة وقف الرئيس الأمريكي ، ونائبه ، وطاقم وزرائه ومساعديه ، وكلهم يتطلعون إلى السماء في قلق شديد ..

وفي أسف وأسى ، تابعت (مشيرة) :

- المؤسف أن روح المقاومة هذه ليست القاسم الأكبر ، في كل دول العالم .. العديدون اتهاروا قبل الألوان ، وقرروا الاستسلام للغزاة ، قبل حتى أن تتبين قوتهم الحقيقية .. وبالأذات تلك الدول ، التي قضت ربحاً طويلاً من الزمن ، وهي تتعامل بمنطق القوة وحدها ، بغض النظر عن العدل والحق ، والمساواة .. الدول التي ظلت مثلاً للظلم والبغي ، والكيل بمكيالين .. كلها قرّرت الاستسلام ؛ لأنها تصوّرت أن الخصم أكثر قوة ، وهي لا تؤمن إلا بمنطق القوة .. القوة وحدها .

ثم التقى حاجباها ، وبدت أشبه بصورة مجسّمة للإصرار والصمود والصلابة ، وهي تهتف :

- أما نحن فسنقاوم ، ونستمر ، ونقاتل ، ونناضل .. حتى آخر قطرة دم في عروقنا ، وآخر نفس يتردد في صدورنا .. سنستمر ، ونقاوم ، ونقاتل ، ونناضل ، حتى آخر مواطن ، يحمل في خاتمة جنسيته اسم (مصر) .. (مصر) الصامدة .. المناضلة .. المقاتلة إلى الأبد . وراح جسدها يرتجف ، من فرط الحماس والانفعال ، وبخ صوتها واختق ، وهي تنهى برنامجها ، قائلة :

- كانت معكم (مشيرة محفوظة) ، من شبكة (أبناء الفيديو) .. ظلوا معنا ، فسنتابع الأحداث أولاً فاولاً . توقّف البث المباشر وساد قاعة التصوير الرئيسية ، في شبكة (أبناء الفيديو) صمت تام ، لم يلبث أن تحوّل بفتة إلى عاصفة من التصفيق ، ومساعد (مشيرة) الأول يهتف ، بكل حماس الدنيا :

- رائع يا سيّدة (مشيرة) .. رائع .. لقد تفوّقت على نفسك حقاً هذه المرة .

أشارت إليه بيدها ، قائلة في توتر :

- لا أريد أية مجاملات .. سأكتفى بقدح من القهوة ، وبآخر التقارير المصوّرة ، والوردة من مواقع الأحداث . كانت تتجه إلى حجرة مكتبها في خطوات سريعة

واسعة ، عندما استوقفها العميد (أشرف) فجأة ،
قائلاً في توتر :

- سيّدة (مشيرة) .

التفتت إليه في حدة ، قائلة :

- حسن .. ماذا تريد هذه المرة ؟

بدا أكثر توتراً ، وهو يقول :

- أردت أن أقول : إن هذا كان رائعاً .

بهتت للجواب ، فحدقت في وجهه ، قائلة :

- ماذا ؟

انعقد حاجباه ، وكأنما لا يروق له ما سيقوله ،

وهو يجيب :

- أقول : إن هذا كان رائعاً .. لقد تحدثت بحماس ..

أظنه أشعل رغبة الجميع في المقاومة والقتال .. لقد

حققت ما نعجز كلنا عن تحقيقه ، مهما قلنا ، وفعلنا ،

وتصورنا أننا نؤدى واجباً مقدساً .

حدقت في وجهه مرة أخرى ، قائلة :

- أتدرك ما تقول جيداً ؟

لم يرق له سؤالها ، فأشاح بوجهه ، متمماً :

- بالتأكيد .

ثم استدار بأسلوب عسكري محض ، وغادر المكان

في خطوات أسرع مما ينبغي وهي تتابعه ببصرها في
دهشة ، قبل أن تهز رأسها ، مغمغة في عصبية :

- عجباً ! يبدو أن الشدائد تصنع المعجزات بالفعل .

قالتها ، ودلفت إلى مكتبها ، وألقت جسدها المرهق ،

من فرط الانفعال ، على أقرب مقعد إليها ، وهي

تهتف في عصبية :

- أين قدح القهوة ؟

كان الكل يتصورون أن منشأ انفعالها الرئيسى ،

هو محاولتها بث الحماس في قلوب الجميع ، ولكن

لو اقترب منها أحدهم ، في تلك اللحظة ، وهي تجلس

وحيدة في حجرة مكتبها ، لرأى دموعها تفرق

وجهاً ، ولسمعها تهمس ، بكل لوعة الدنيا :

- يا رب .. أعده إلى سالمًا .. أعد إلى زوجى الحبيب .

ثم تنخرط في بكاء حار ..

جداً .

لم تكد تلك البعوضات الآلية تنقضى على (نور)

ورفاقه ، حتى هتف في صرامة ، وهو يطلق أشعة

مسدسه نحوها :

- تراجعوا .. إلى المكوك بأقصى سرعة .

هتفت (نشوى) ، وهى تعدو مذعورة :

- وأين المكوك ؟!

التزع من حزامه مسدسًا آخر ، وألقاه إلى
(رمزى) ، هاتفاً :
- ليس بعيدًا .

التقط (رمزى) المسدس فى خفة، وعلى الرغم من
أنه ليس مقاتلاً ، فقد تحرك بسرعة مدهشة ، فى
تناسق بالغ الدقة ، مع (نور) و(أكرم) ، ليصنع ثلاثتهم
من أجسادهم مثلثًا مقاتلاً ، يحمى داخله (سلوى)
(نشوى) ، والجميع يتحركون فى سرعة ، نحو أحد
جدران القاعة ، والرجال الثلاثة يطلقون النار على
البعوض الآلى ، الذى ينقض عليهم من كل صوب ..
وبكل ذعرها وهلعها ، هتفت (سلوى) :
- لن ننجو يا (نور) .. سنتطفئ الأتوار الآن ،
وينقض علينا هذا البعوض الآلى بلا رحمة .
أجابها فى صرامة :

- لن تتطفئ الأتوار هذه المرة .

نطقها ، وهو يدير فوهة مسدسه مرة أخرى نحو
ذلك الآلى العملاق ، ثم استطرد فى حزم :
- لن نسمح لهم بإطفائنا .

وانطلقت خيوط الأشعة تنسف بقايا العين الواحدة ،
فى منتصف رأس الآلى العملاق ، الذى لم يتحرك من
مكانه ، وراحت تضرب عنقه مرة ..
وثانية ..
وثالثة ..

وفى عصبية محتدة ، هتف (أكرم) :
- ماذا تفعل بالله عليك يا (نور)؟! إنه لا يهاجمنا..
هم يفعلون ..
أجابه (نور) فى صرامة ، وهو يطلق مسدسه
الليزرى مرة رابعة :
- الكل يهاجمنا .

ومع قوله ، أصابت الأشعة منتصف عنق الآلى
العملاق .
ودوت فى المكان فرقعة قوية ، كادت تصم أذان
الجميع ..
ثم هوى الرأس ..

ومع سقوطه ، توقفت هجوم البعوض الآلى دفعة
واحدة ..
فجأة ، توقفت كل بعوضة فى موضعها ، وأجنحتها
الآلية تخفق فى رتابة ..

ثم راح البعوض يحوم فى المكان ، فى حيرة آلية
عجيبة ..

وانتقلت هذه الحيرة إلى أفراد الفريق ، و (تشوى)
تسأل :

- ماذا حدث ؟!

تحرك (نور) فى سرعة ، وراح يتحسس الجدار ،
وهو يقول :

- فيما بعد .. سأشرح لكم كل شئ فيما بعد ..
المهم الآن أن نعثر على المكوك .

قال (أكرم) فى دهشة :

- المكوك ؟! ولكنه ليس هنا يا (نور) !! إنه فى
قاعة أخرى .

أجابه (نور) فى حزم :

بل هو هنا .

قالها ، وتراجع بضغ خطوات ، ثم صوب مسدسه
الليزرى إلى الجدار ، مستطرذا :

- بالتحديد .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلقت أشعة مسدسه ،
لتضرب ذلك الجزء من الجدار ، و ...

وارتج الجدار لحظة واحدة ..

ثم دار حول نفسه فى سرعة متوسطة ..
وعلى الجانب الآخر منه ، بدا مكوك الفضاء ،
وهو يدور فى نعومة ، ليدخل نفس القاعة ، التى
يقفون فيها .

وفى دهشة عارمة ، تراجع الجميع ، مفسحين
الطريق للمكوك ، و (رمزى) يهتف :

- يا إلهى ! لقد كان هنا بالفعل .

تلقت (نور) حوله فى توتر متحفز ، حاملاً
مسدسه الليزرى ، حتى استقر المكوك فى منتصف
القاعة كما كان ، فهتف (نور) :

- هيا .

وتدفع نحو المكوك ، وضغط زراً إلى جوار بابيه ،
فانفتح فى نعومة ، ووثب الجميع داخله ، فأسرع (نور)
إلى جهاز الكمبيوتر ، وراح يضرب زراره فى سرعة ،
وهو يهتف :

- (أكرم) .. أغلق باب المكوك .

نفذ (أكرم) ما طلبه (نور) ، وهو يقول فى عصبية :

- (نور) .. ماذا يحدث بالضبط ؟! إننى لا أحتمل
انتظار التفسير .

أجابه (نور) فى اتفعال ، وهو يواصل العمل على
أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

— لا وقت للشرح والتفسير يا (أكرم) .. هناك
أمر بالغ الأهمية ، لا بد أن أنجزه أولاً ، قبل أن يبدأ
هؤلاء الأوغاد هجومهم .

اتسعت عيون (سلوى) و (نشوى) فى ارتياح ،
وهتف (رمزى) :

— هجومهم ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى توتر :

— ماذا تصوّرتم إذن ؟! أنهم سيتركوننا نفسد
خطتهم البارة كلها ، بهذه البساطة ؟!

تبادل الجميع نظرات شديدة التوتر ، قبل أن يهتف
(أكرم) :

— ما زلت لا أفهم يا (نور) .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى دوت فرقة قوية فى
المكان ، واتهار الجدار المواجه للمكوك تماماً ، وظهر
خلفه عشرة من المقاتلين الآليين ، يحملون مدافع
ليزرية قوية ، ويتجهون نحو المكوك مباشرة ..

ودون إنذار أو إبطاء ، انطلقت حزم الليزر من
المدافع القوية ..

ودوت الانفجارات داخل القاعة ..
بمنتهى القوة ..

★ ★ ★

كان الأمر عنيفاً ..

إلى أقصى حد ..

حزم الليزر ، التى أطلقها الآليون ، نسفت الجناح
الأيمن للمكوك ، وأصابته إطاره الأمامى ، وحطمت
نوافذه كلها ، فمال إلى الأمام ، وارتطمت مقدّمته
بالأرض فى عنف ، فهتفت (نشوى) مذعورة :

— ربّاه ! إنهم يهاجموننا فى عنفه .

وصاحت (سلوى) فى هلع :

— (نور) .. يبدو أننا لن ننجو هذه المرة .

أجابه فى حزم شديد ، وهو يضغط آخر أزرار
الكمبيوتر :

— ليس المهم أن ننجو .

ثم دفع جسده إلى اليسار ، وجذب ذراعاً صغيرة ،
تحمل فوقها إشارة إلى خطورتها وسريتها ، وهو
يكمل :

— المهم أن تتجو الأرض .

ومع جذب الذراع ، انفتحت فجوة صغيرة ، فى
مؤخرة المكوك ، ووثبت عبرها كرة صغيرة ، فى
حجم كرة التنس ، لها سطح معدنى داكن ، وانطلقت
بسرعة مذهشة ، عبر الممر الطويل ، الذى اتضحت
ملامحه ، مع دوران جدار القاعة حول نفسه ،
وتجاوزت الفجوة فى نهايته ، لتواصل انطلاقها عبر
الفضاء بسرعة مذهلة ..

ورصدت أجهزة سفينة الغزاة انطلاق تلك الكرة
المعدنية ..

وسجلت حجمها وسرعتها واتجاهها ..

وأطلقت خلفها عشرات من خيوط الليزر ..

ولكن الكرة راوغت بمهارة مذهشة ..

وساعدها حجمها الصغير على الإفلات والمناورة ..

ثم فجأة ، انطلقت منها ذنبية قوية ..

ذنبية ارتجت لها سفينة الغزاة لحظة ..

وانفتحت ثغرة فى الفضاء ..

وعبرتها الكرة بسرعة مذهلة ..

ثم تلاشت الثغرة ..

تماماً ..

وداخل المكوك نفسه ، لم يشعر رفاق (نور) بما
حدث ، مع خيوط الليزر ، التى انتهالت عليهم من كل
صوب ..

وهتف (أكرم) ، وهو يندفع بمسدسه إلى الباب :
- هل سنظل حبيسين هنا ، ليقضى علينا
هؤلاء الأوغاد ، كما لو كنا مجموعة من الفئران فى
مصيدة ؟!

وفتح الباب فى حدة ، صائحاً :

- إننى أفضل الموت مقاتلاً .

هتف به (نور) :

- لا .. لا تفعلها أبها التمس .

لم يكذب عبارته ، حتى اندفعت عبر الباب كرات
شفافة صغيرة ، بأعداد هائلة ، جعلت (سلوى)
تصرخ :

- رباه ! ما هذا يا (نور) ؟! ما هذا ؟!

قفز (نور) إليها ، واحتواها بين ذراعيه ، محاولاً
حمايتها من تلك الكرات الشفافة ، التى انتشرت فى
كل مكان ، و ..

وفجأة ، تألفت كلها فى قوة ..

وانبعث منها ضوء مبهر ..

ومع الضوء ، انطلقت فى أجساد الجميع صاعقة
قوية ، انتفضت لها أجسادهم فى عنف شديد ..
ثم سقطوا جميعاً فاقدى الوعي ..
وتلاشى الضوء ..

وفى بطم ، راحت الكرات الشفافة تسبح فوق
الأجساد الفارقة للوعي ، ثم انطلقت تلتصق بجدران
المكوك ، فى نفس اللحظة التى برز فيها الآليون ،
أشباه البشر ، حاملين مدافعهم الليزرية القوية ..
وصوبوها كلها إلى أفراد الفريق ..

بلا استثناء ..

أو رحمة ..

« دكتور (جلال) .. هناك محاولة جديدة لاختراق
فضائنا .. عبر طريق النجوم .. »
تردّد ذلك النداء ، عبر جهاز الاتصال الخاص ،
المحدود للغاية ، الذى يحملة الدكتور (جلال) فى
ساعته ، فهبّ من مقعده ، فى حجرة القائد الأعلى ،
وهو يهتف فى توتر بالغ :

- أين ؟! وكيف ؟! وما مدى الاختراق ؟!

أجابه صاحب النداء فى توتر :

- هذا ما يشير حيرتنا يا سيدي ، فالتردّد والذبذبة
مناسبان للاختراق تماماً ، ولكن المدى صغير للغاية ، حتى
إنه لا يكفى لعبور مقاتلة واحدة ، من مقاتلات الغزاة ..
اتعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يتمم :

- صغير للغاية .

أجابه المتحدث :

- ربما كان .. أحم .. الرفاق يعتقدون أنه قد
يكون .. قنبلة .

قال الدكتور (جلال) فى حزم عجيب :

- كلا .. إنه ليس كذلك .

ثم أضاف بلهجة أمره :

- تابعوا الموقف ، وانقلوا إلينا الصورة على الفور ،
وانظروا أية تعليمات جديدة .

قالها ، وأنهى الاتصال ، وقد اتعقد حاجباه أكثر
وأكثر ، فسأله القائد الأعلى فى قلق شديد ، وهو
ينهض من خلف مكتبه :

- ماذا هناك ؟!

ضغط الدكتور (جلال) زرّاً ، على سطح مكتب

القائد الأعلى ، فأضيفت شاشة كبيرة أمامه ، وهو
يجيب في حزم :

- (نور) وفريقه ما زالوا على قيد الحياة .
هتف القائد الأعلى :

- حقاً ؟!

ثم انعقد حاجباه ، وهو يسأل :

- ولكن كيف عرفت هذا ؟!

أشار الدكتور (جلال) إلى الشاشة الكبيرة ، التي
نقلت صورة للسماء والسحب ، وهو يجيب :

- سترى بنفسك الآن .

لم يكذ يتم عبارته ، حتى نقلت الشاشة فرقة
مكتومة ، انفتحت بعدها ثغرة في السماء ، اندفعت
عبرها كرة صغيرة ، في حجم كرة تنس^(*) ، لها سطح
معننى داكن ..

(*) تنس : رياضة تمارس إما في ملاعب داخلية ، أو في الهواء
الطلي ، من قبل شخصين أو أربعة أشخاص ، ويقسم الملعب إلى
نصفين ، بواسطة شبكة عرضية ، ارتفاعها في منتصفها ثلاثة أقدام ،
وعند طرفيها ثلاثة أقدام ونصف القدم ، وتستخدم فيها مضارب خاصة ،
وكرة من المطاط المنفوخ ، مغطاة بقماش خشن .

وبسرعة ، هتف الدكتور (جلال) ، عبر جهاز
الاتصال :

- اتبعوها بسرعة .. لا تدعوها تفلت منكم .

تابعت آلات الرصد حركة الكرة في سرعة ، وهي
تندفع إلى أسفل ، في مسار منحني ، فهتف القائد
الأعلى في عصبية :

- أريد تفسيراً فورياً لما يحدث .

أشار الدكتور (جلال) إلى الشاشة مرة أخرى ،
وهو يجيب في لهجة ، حملت انفعالاً واضحاً :

- هذه الكرة كانت خط الدفاع الثاني ، في رحلة
فريق (نور) الانتحارية .
سأله القائد الأعلى في دهشة :

- ماذا تعنى ؟!

تابع الدكتور (جلال) عملية هبوط الكرة على
الشاشة الكبيرة ، وهو يجيب :

- عندما بدأ (نور) رحلته الانتحارية مع فريقه ،
كنا نعلم بأمر ذلك الجاسوس الإلكتروني ، ولكننا
نجهل تماماً ما إذا كان هناك جاسوس آخر أم لا ، لذا
كان من الضروري أن نضع خطة فرعية ، على نحو
بالغ الدقة والسرية ، يتم تنفيذها في حالة فشل الخطة
الأساسية ، في إغلاق طريق النجوم .

سأله القائد الأعلى :

- وهذه الخطة الثانية هي الكرة .

أجاب الدكتور (جلال) :

- ليست مجرد كرة .. إنها خزانة معلومات ..

شيء أشبه بالصندوق الأسود ، الذى تجده فى الطائرات ، والذى ينقل كل الاتصالات التى تمت ، بين الطائرة وقاعدتها الأرضية ، ويسجلها ثانية فثانية .. إنها تحوى التفاصيل الدقيقة ، بالصوت والصورة ، لكل ما مرَّ به الموكب ، منذ غادر الأرض ، وحتى تم إرسالها ، ومن المفترض أن يضيف إليها (نور) أية معلومات جديدة ، أو استنتاجات يمكنه التوصل إليها ، خلال مهمته هذه .. باختصار .. كانت الخطة الاحتياطية تعتمد على تنفيذ الهدف الرئيسى ، الذى سعى إليه (نور) العالم الآخر وفريقه ، فى مهمتهم الانتحارية ، ولكن (نور) اقترح إضافة إمكانية خاصة ، تتيح له إرسال كل تلك المعلومات إلى الأرض ، حتى ولو انتهى أمره وأمر فريقه ، ولهذا تم صنع تلك الكرة ، وتزويدها بذاكرة خاصة ، تحدد مسارها ، وتمكنها من العودة إلى الأرض ، بكل ما تحمله ، أيًا كان موضعها ، فى الفضاء السحيق .

قال القائد الأعلى فى غضب :

- دون أن يتم إبلاغى بهذا ؟!

صمت الدكتور (جلال) لحظة ، قبل أن يجيب فى

خفوت :

- لا أظن الوقت يكفى للعتاب .

كانت الكرة تهبط فى تلك اللحظة ، فى حديقة مركز الأبحاث العلمية تمامًا ، فتبعث صوت ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، يقول فى دهشة :

- دكتور (جلال) .. يبدو أنها تستهدفنا مباشرة .

أجابه عبر جهاز الاتصال نفسه :

- إنها آمنة يا رجل .. مرَّ رجال المكتب الرابع بالتحفظ عليها ، ونقلها إلى مركز البحث الخاص ، وسأحضر إليكم على الفور .

قال الرجل فى سرعة :

- كما تأمر يا دكتور (جلال) .

أنهى الدكتور (جلال) الاتصال ، والتفت إلى القائد الأعلى ، الذى أشار بيده ، وهو يقول فى صرامة :

- هيا .. اذهب لتفحص ما أرسله (نور) ، وسناقش ما حدث فيما بعد ، عندما تنزاح هذه الغمة .

تتهّد الدكتور (جلال) ، وهو يغمغم :

- ليست لدى ذرة واحدة من الشك ، فى أن (نور)
قد أرسل إلينا معلومات بالغة الأهمية ، ولكن الله
(سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى ستقودنا إليه
تلك المعلومات ، فإما أن تتزاح الغمة ، أو ...

لم يستطع إتمام عبارته ..

ولم يسأله القائد الأعلى عما يعنيه ..

ولكن جسده ارتجف ..

بأكمله ..

* * *

الظلام كان يحيط بكل شيء ..

كل شيء بلا استثناء ..

وكانت هناك أصوات تأتي من بعيد ..

من آخر العالم ..

ثم راحت هذه الأصوات تقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وتتضح ..

وتتضح ..

« (نور) .. ألئت بخير ؟! » ..

تسلل الصوت إلى أذنيه ، فالتفتض جسده انتفاضة
خفيفة ، قبل أن يفتح عينيه ، ويحدق فيما أمامه .

كان يرقد داخل حجرة واسعة من المعدن ،
بلا نوافذ .. لها باب واحد مغلق ، وحوله رفاهه
كلهم ، يتطلعون إليه فى قلق ، وزوجته تنحنى عليه ،
قائلة فى صوت أقرب إلى البكاء :

- حمداً لله على سلامتك .

اعتدل جالساً ، وهو يمسك رأسه ، مع الصداع
الشديد الذى يشعر به ، وغمغم فى ألم :

- نحن أحياء إذن .

أجابته (رمزي) فى توتر :

- إنهم يحتفظون بنا لسبب ما .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

- من حسن حظنا أن الآلات ليست من أكلة لحوم

البشر .

أدارت (نشوى) عينها إليه ، قائلة :

- لا تكن واثقاً هكذا .

اتعقد حاجباه ، وهو يجيبها :

- هل يسعدك إثارة قلقي ؟!

لوحت بيدها ، قائلة في رأس :

- وما الفارق ؟!

مط شفتيه ، وأسند ظهره إلى الجدار المعدني
البارد ، داخل الحجرة الخاوية ، وهو يتحسس موضع
مسدسه الخالي في حزامه ، متمتعاً :

- أنت على حق .. وما الفارق ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

- ما داموا قد قرروا الاحتفاظ بنا على قيد الحياة ،
فهناك فارق حتمًا .

استدار إليه (أكرم) ، قائلاً في حدة :

- (نور) .. أنت تعرف أكثر مما نعرفه بكثير ..

أخبرنا ما لديك يا رجل .. ماذا يحدث هنا ؟! وما الذي
فعلته في المكوك ، قبل أن نفقد وعينا .

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- لقد كشفت الوهم فحسب يا صديقي ، وأنركت
ما الذي كانت تعنيه كلمات شبيهتي المسكين الأخيرة .

قال (رمزي) في اهتمام :

- هل لنا في مزيد من التفسير ؟!



اعتدل جالسًا ، وهو يمسك رأسه ، مع الصّداق الشديد الذي
يشعر به ، وغمغم في ألم :- نحن أحياء إذن ...

غمغم (نور) :

- بالتأكيد .

ثم أدار عينيه فى الحجرة الخاوية ، وابتسم
ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- من حق الجميع أن يعلم ما لدى .

لم يفهم أحدهم ما يعنيه بابتسامته الغامضة هذه
بالضبط ..

إلا أنهم أنصتوا إليه جميعاً بكل جوارحهم ..

أما هو ، فقد اعتدل فى مجلسه ، والتقط نفساً
عميقاً ، ثم انطلق يشرح ما لديه ..

بكل التفاصيل ..

وكالمعتاد ، كانت كلماته تحمل مفاجأة ..
مدهشة .

★ ★ ★



٧ - الوهم ..

انزلت الكرة المعدنية الصغيرة فى نعومة ، عبر
أسطوانة شفافة قصيرة ، داخل جهاز الفحص الخاص ،
فى حجرة التجارب بالغبة السرية ، فى مبنى مركز
الأبحاث ، ولم تكد تستقر داخل تجويف خاص ، حتى
راحت شاشات جهاز الكمبيوتر الجديدة تنقل كل
المختزن فيها إلى شاشة كبيرة فى المواجهة ..

وفى صمت تام ، راح القائد الأعلى ، والدكتور
(جلال) ، وعدد محدود للغاية من العلماء ، يتابعون

رحلة المكوك (ابن ماجد) ، عبر طريق النجوم ..
حتى كانت تلك اللحظة ، التى ظهرت فيها سفينة
الغزاة ..

واتسعت العيون كلها فى ذهول ..

وذعر ..

وخفقت القلوب فى هلع ..

ورعب ..

وبصوت مبحوح من فرط الانفعال ، هتف القائد

الأعلى :

- رباه ! مذكرات الشبيه المعكوس أشارت إلى ضخامة تلك السفينة ، ولكننى لم أتصورها قط بهذا الحجم ..

غمغم الدكتور (جلال) فى صعوبة :

- كلنا هذا الرجل .

أشار أحد العلماء بيده ، قائلاً :

- وذلك العدد الهائل من المقاتلات .. لست أظن

كوكبنا كله يمتلك نصفها .

تمتم القائد الأعلى :

- إنهم قادرون على أن يسحقوننا فى ساعات

معدودة .

التفت إليه الدكتور (جلال) ، متسائلاً فى انفعال :

- السؤال الوحيد : لماذا لم يفعلوا إذن ؟!

التقى حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يتابع ذلك

المشهد المبهر على الشاشة ، قبل أن يغمغم :

- نعم .. لماذا لم يفعلوا ؟!

لم يجب أحدهم السؤال ، وهم يتابعون حركة

المكوك ، الذى ينزلق فى نعمة ، عبر الممر الطويل ،

داخل سفينة الغزاة ، ثم يستقر فى منتصف تلك

القاعة الضخمة ، وسمعوا ذلك الصوت الآلى ، وهو يأمر (نور) ورفاقه بالسجود للإمبراطور ، فتمتم أحد العلماء :

- رباه ! كيف يحتمل (نور) وفريقه هذه الأهوال؟!

قال الدكتور (جلال) ، فى لهجة تحمل الكثير من

الاحترام :

- إنهم ليسوا مثلنا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

- إنهم أبطال .

التفت إليه القائد الأعلى فى دهشة ، ثم عاد يتطلع

إلى الشاشة ، مغمغماً :

- صدقت .

مع آخر حروف كلماته ، أطفئت الأنوار داخل

القاعة ، التى استقر فيها المكوك ، فهتف أحد العلماء :

- يا للسخافة ! سيفوتنا جزء بالغ الأهمية .

أشار إليه الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- لن يفوتنا شيء .. الكرة ستطور نفسها على

الفور ، وتنتقل إلى الرؤية باستخدام الأشعة دون

الحمراء ..

تحولت الشاشة مع كلماته إلى لون أخضر زام ،
صبغ كل شيء ، والكرة تنقل كل ما سجلته ، في أثناء
فترة الإفلام ، و ..

« رباه ! هل ترون ما يحدث ؟! »

حدق الجميع فيما أمامهم بدهشة بالغة ، وغمغم
الدكتور (جلال) في انفعال :

- عجباً ! لماذا يحدث هذا ؟! المفترض أن السفينة
ضخمة للغاية ، حسبما ...

قاطعها القائد الأعلى ، وهو يكمل في حماسة :

- حسبما تبدو .

التفت عيون الجميع في لحظة واحدة ، وبدا وكأنهم
قد استوعبوا الأمر بأكمله ، فهتف الدكتور (جلال) :

- رباه ! هذا ما أراد (نور) أن يخبرنا به ..
حرك الصورة بسرعة يا رجل .. أريد القفز إلى

استنتاجاته مباشرة .

ضغط أحد العلماء زرّاً ، فتوالى الصور في سرعة ،
ونقلت الشاشة مشهد الآليين ، وهم يهاجمون المكوك ،
ويمطرونه بحزم الليزر ، فتراجع الجميع في حدة ،
وهتف القائد الأعلى :

- يا إلهي ! إنهم يهاجمونهم .
ردّد أحد العلماء :

- يا للبشاعة ! يا للبشاعة !
ولكن فجأة ، اختفت الصور ..

وأظلمت الشاشة تماماً ..

ولثوان ، ساد صمت رهيب ، قطعه الدكتور
(جلال) ، وهو يتمم بصوت حمل كل مرارة
الدنيا :

- هذا آخر ما سجلته الكرة .

ازدرد كل منهم غصة في حلقه ، دون أن ينبس
ببنت شفة .

ثم أضاعت الشاشة مرة أخرى ..

وفي هذه المرة ، كانت تحمل كلمات (نور) ..
وأفكاره ..

واستنتاجاته ..

وفي هذه المرة ، اتسعت العيون عن آخرها ..

وخفقت القلوب حتى أقصاها ..

فالمكتوب أمامهم كان كفيلاً بأن يقلب الصورة
كلها ..

رأساً على عقب ..
وبمنتهى العنف ..

« كل هذا مجرد وهم .. »

نطق (نور) العبارة في هدوء عجيب ، وهو يسند ظهره إلى الجدار المعدني للحجرة ، وأشار بيده إليها ، متابعاً :

— السفينة الهائلة ، وأعداد المقاتلات الخرافية ، والآلى العملاق ، كلها مجرد خطوط عريضة ، في خطة متقنة للحرب النفسية ، هدفها الأول هو تحطيم الروح المعنوية لسكان الأرض ، لضمان الانتصار الساحق عليهم .

سأله (أكرم) في توتر :

— هل تقول : إن هذه السفينة ليست ضخمة كما تبدو ؟!

أوماً (نور) برأسه إيجاباً ، وقال :

— بالضبط .. كل ما ترونه عبارة عن سفينة فضائية محدودة ، أضيف إليها هيكل زائف ، يعتمد في معظمه على صور هولوغرافية متقنة ، بحيث

يوحي بأننا أمام كوكب عملاق .. أما تلك الأعداد الرهيبة من المقاتلات ، فمعظمها مجرد هياكل فارغة ، وصور خداعية ، الغرض منها إيهامنا بقوة الغزاة التي لا تقهر .

قالت (سلوى) في حيرة :

— ولكن أحداً لن يمكنه رؤية كل هذا يا (نور) .

أشار بسبأته ، قائلاً :

— خطأ يا عزيزتي .. (نور) العالم الآخر أتى لرؤيته مع فريقه ، ونحن فعلنا .. أى كوكب يواجه ما يواجهه كوكبنا ، كان سيرسل حتماً حملة استكشاف ..

ثم مال إلى الأمام ، متابعاً في حماس :

— لهذا لم تحاول المقاتلات الآلية ، التي حاصرت مكوك أشباهنا ، أن تسحقه مباشرة ، على الرغم من أن كل ما فعلته قبل هذا أو بعده ، يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك ، أنها لا تقيم وزناً للحياة البشرية وغير البشرية بكل صورها .. الواقع أنها لم تفعل ؛ لأنها كانت تريد منا أن نأتى ، وأن نشاهد ما شاهدناه ، ونسجل ما سجلناه .. وإطفاء الأنوار لم يكن سوى وسيلة مسرحية ، لتغيير ديكورات القاعة ، بما يوحي

إلينا بأننا انتقلنا إلى قاعة أخرى ، وخاصة عندما نشعر بذلك البساط المعدنى يتحرك تحت أقدامنا .. تماماً مثلما يحدث على المسرح .. عدة ديكورات لمشاهد مختلفة ، على محور دائرى ، بحيث يمكن إحلال بعضها محل بعض ، بحركة ناعمة سريعة .. كل هذا لتقتنع بأننا داخل سفينة فضاء عملاقة ..

تمت (نشوى) فى ابهار :

- ربّاه ! استنتجك هذا يفسر كل شيء يا أبى .. لهذا كانوا يعتمدون على الضربات السريعة الخاطفة .. ولهذا أيضاً ركزوا هجومهم على كل دولة على حدة ، حتى يستخدموا قوتهم الفعلية كلها للانقضاض عليها وسحقها .

أجاب فى سرعة :

- بالضبط .. ولقد جعلونا نواجه ألى عملاق ، وبعوض قاتل ، وهاجموا شبيهه (رمزى) فى العالم الآخر ، وقتلوه - بلا رحمة - ليوحوا برغبتهم فى احتجاز الباقين ، فى حين أنهم تركوهم يفرّون ، ولم يحاولوا حتى تعقبهم ، على الرغم من أنهم يمتلكون مفاتيح طريق النجوم ، وكان يمكنهم الانطلاق بعشرات المقاتلات خلفهم ، وسحقهم بلا رحمة .

ثم عاد يدير عينيه فى المكان ، واستعادت شفثاته تلك الالتصام الغامضة ، وهو يتابع :

- كان الهدف الرئيسى هو أن يعود الفريق إلى الأرض ، وينقل الصورة كلها إلى سكراته ، لبث الرعب فى قلوبهم ، وتحطيم مغفوياتهم ، وتدمير روح القتال فى أعماقهم .. نفس الأسباب التى جعلتهم يختارون أهدافهم بعناية ، وبوسيلة تصنع أكبر ضجة ممكنة .. لقد هاجموا قصر الرئاسة ، فى العالم الآخر ، ولم يحاولوا مهاجمة قاعدة جوية ، أو ثكنة عسكرية .. وحتى فى انقضاضاتهم المباغتة ، كانوا يتحاشون المواجهة المباشرة ، بكل وسيلة ممكنة .

كان رفاقه يتطلعون إليه بدهشة بالغة ، فتوقف عن حديثه ، والتقط نفساً عميقاً ، ملأ به صدره كله ، قبل أن يقول :

- هل تدركون ما الذى يعنيه كل هذا ؟!

أظّل تساؤل قلق من عيونهم ، فتابع فى حزم :

- يعنى أن المواجهة ممكنة ، والانتصار على الغزاة ليس مستحيلاً ، كما تصوّر أقراننا ، فى العالم الآخر .

قال (أكرم) فى عصبية :

- هذا لو علم عالمنا بما كشفتته يا (نور) .
 اتسعت ابتسامته (نور) ، وهو يقول فى هدوء
 عجيب :
 - لقد علموا .
 تفجرت دهشة غامرة فى وجوههم ، وهم يحدثون
 فى وجهه ، قبل أن يهتف (رمزى) :
 - لا تقل لى : إن هذا ما كنت تفعله فى المكوك ،
 عندما هاجمنا الآليون .
 أجابه (نور) ، بإشارة من يده :
 - بالضبط .
 ثم اعتدل ، ونهض واقفاً على قدميه ، مستطرذاً
 فى حزم :
 - فى نفس لحظة الهجوم ، أطلقت كرة خاصة ،
 تحمل كل المعلومات والتفاصيل ، إلى الأرض .. ولقد
 نجحت فى مهمتها ، وإلا لتلقيت إشارة خاصة .
 هتفت (سلوى) :
 - إذن فهم يعلمون .
 أجابها فى حزم شديد :
 - وسيفاتلون .

تبادل الجميع نظرة مقفمة بالأمل هذه المرة ،
 وتساءل (أكرم) :
 - ولكن كيف يمكن لعقول آلية أن تضع خطة خبيثة
 ومعقدة إلى هذا الحد يا (نور) ؟
 صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يشير
 بسبابته ، قائلاً :
 - هذا أيضاً جزء من خطة الحرب النفسية .
 وتطلع إلى باب الحجره بضع لحظات ، قبل أن
 يتابع ، وكأنما يتحدث إلى نفسه :
 - فالشعور بأنك تواجه آليين ، يجعلك تتصور أن
 النصر أمر مستحيل ، وأن القسوة التى تبلغ حد
 الوحشية ، ستكون هى الأساس فى القتال .
 هتفت (سلوى) مبهورة :
 - هل تقصد أننا لا نواجه آليين ؟!
 ابتسم ، مجيباً :
 - ولا حتى أنصاف آليين .
 سأله (أكرم) فى توتر :
 - وماذا عن ذلك الإمبراطور العملاق ؟!
 هز كتفيه ، مجيباً :

- أنقص ذلك الذى لم يحرك سائناً ، ونحن ننسف
آلة المراقبة فى منتصف رأسه ، ثم نسقط جهاز
الرصد كله ، المتمثل فى الرأس نفسها ؟! أى
إمبراطور هذا يا رجل ؟! لقد كان وسيلة لرصدنا
فحسب ، وعندما أوقفنا الرصد ، لم يعد ذلك البعوض
الآلى قادراً على مهاجمتنا مباشرة .

غمغم (رمزى) فى اتبهار واضح ، وهو يتطلع
إلى (نور) :

- يا إلهى ! إنك عبقرية مدهشة بالفعل يا (نور) ..
كيف يمكن لعقلك إيجاد تفسير منطقى لكل شيء ؟!
لم يجب (نور) على السؤال ، وهو يهز رأسه فى
بطء ، فهتفت (نشوى) :

- بقى أمر واحد .. كيف يبدو الغزاة الحقيقيون ؟!
أشار بيده إلى (رمزى) ، قائلاً :
- دعينا نلقى هذا السؤال على زوجك .
قال (رمزى) فى دهشة :
- على أنا ؟!
أجابته فى سرعة :

- بالتأكيد .. أنت الخبير النفسى الوحيد بيننا ، والذى

يمكنه أن يفسر لنا ، لماذا يصر كائن ما على أن
يوحى بأن كل ما يحيط به هائل ، ضخم ، عملاق ..
أجابه (رمزى) فى سرعة وحماس :
- إنه يفتر إلى كل هذا .

هتف (نور) :

- بالضبط .

لم يكد هتافه ينطلق ، حتى التبعث صوت عجيب
داخل الحجرة الخالية ..

صوت أشبه بزمجرة وحشية مكتومة ..

ثم تحرك الباب الوحيد فى بطء ..

ومن خلفه ظهر شيء ما ..

أو شخص ما ..

بل شخصان ..

شخصان آليان ضخما الحجم ، يحملان مدفعين

ليزربين قوين .

وبينهما كان يقف كائن حى .

أول كائن حى ، تقع عليه عيونهم ، فى تلك

السفينة ..

سفينة الغزاة ..

★ ★ ★

بدا الرئيس الأمريكى شديد العصبية والتوتر ،
عندما ظهرت صورته على شاشة الاتصالات الخاصة
المؤتمنة ، فى حجرة رئيس الجمهورية المصرى ،
وانتقل توتره وعصبيته إلى صوته فى وضوح ، وهو
يقول :

- لست أرى لماذا طلبت إجراء هذا الاتصال
الخاص المؤمن ، فى هذه اللحظات بالذات أبها
الرئيس .. أنت تعلم أن الأوتار كلها مشدودة إلى
أقصى حد ، ونحن ننتظر ظهور الغزاة فى أية لحظة ،
و

قاطع الرئيس المصرى فى حزم :

- لقد وصلتنا معلومات جديدة .

هز الرئيس الأمريكى رأسه فى حدة ، وهو يقول :
- لا داعى لأية محاولة إقناع أخرى .. لقد ناقشنا
كل الأمور ، وخبرائنا أيدوا ما نفعله تمامًا .

سأله الرئيس المصرى :

- وماذا لو أن هناك وسيلة مؤكدة للنصر ؟!

هتف الرئيس الأمريكى فى عصبية :

- لن يمكننا إقناعاً بهذا .

قال الرئيس المصرى فى هدوء :

- حتى ولو كان لدينا الدليل المادى على هذا .

انعقد حاجبا الرئيس الأمريكى ، دون أن ينبس
ببنت شفة ، فتابع الرئيس المصرى فى شىء من
حماس :

- شاهد هذا أولاً .

قالها ، وضغط زرّاً على مكتبه ، فاطلق جهاز
بث خاص يعمل ، لينقل كل ما حملته الكرة المعدنية
إلى شاشة الرئيس الأمريكى ، الذى لم ينبس ببنت
شفة ، وهو يتابع المشاهد مبهوئاً مبهوراً ، حتى
انتهى البث ، فسأله الرئيس المصرى فى اهتمام :

- ما رأيك الآن ؟!

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يأتى صوت
الرئيس الأمريكى متحسراً مبحوحاً ، من فرط
الانفعال ، وهو يسأل :

- هل عرضت هذا على الآخرين ؟

أجاب الرئيس المصرى :

- على الروس والفرنسيين فحسب .

سأله الرئيس الأمريكى :

- وماذا كان جوابهم ؟!

أجاب الرئيس المصري في حزم :

- سينضمون إلينا .

مضت لحظات أخرى من الصمت ، تنحنج خلالها

الرئيس الأمريكى مرتين ، قبل أن يقول :

- أديكم خطة بعينها ؟!

أجاب الرئيس المصري ، وهو يشير إلى وزير

الدفاع ، الذى يقف إلى جواره :

- بالطبع .. وسينقلها إليكم وزيرنا ، عبر الشبكة

المغلقة .

ثم انعقد حاجباه فى حزم ، مستطردًا :

- ولو وافق الباقون ، فثقل أن الكفة ستقلب تمامًا

يا رجل .

غمغم الرئيس الأمريكى :

- أتعشّم هذا أيها الرئيس .. أتعشّم هذا .

نطقها بصوت يحمل قدرًا هائلًا من التوتر ..

والقلق ..

والانفعال ..

كل انفعال الدنيا ..

* * *

على الرغم من كل ما قاله (نور) وأوضحه ،

وما قدره (رمزى) وأشار إليه ، كان وقع المفاجأة

على الجميع قويًا للغاية ، وهم يحدقون فى ذلك الكائن

الواقف أمامهم ، بين الآليين ، بكل دهشتهم

واستنكارهم ..

كان كائنًا بشرى التكوين ، ضليل القامة ، لا يزيد

طوله عن متر واحد ، يحتل رأسه الضخم ثلثه

تقريبًا ، بعينه الواسعتين الكبيرتين ، وأنفه الصغير ،

وفتحة فمه الشبيهة بشق عرضى رفيع ، بلا بروز

أو شفتين ..

وكان يرتدى زيًا لُزرق اللون ، يتناقض مع بشرته

الشاحبة ، الشبيهة بوجوه الموتى ، وحذائه الأحمر

اللامع ، الذى يناسب مقياس طفل صغير ..

ولديقة أو يزيد ، ظل الجميع يحدقون فى وجه ذلك

الكائن ، الذى عقد نزاعيه الصغيرين أمام صدره ،

وهو يتطلع إليهم بدوره ، قبل أن يقول :

- لم يتوقع أحدكم هينتى هذه .. أليس كذلك ؟!

كان الصوت يخرج من فمه الرفيع ، إلى جهاز

صغير متصل برأسه ، فتتم ترجمة كلماته إلى اللغة

العربية ، التى تنقلها مكبرات صوت خفية ، فتتردد
 فى الحجرة كلها ، بصوت آلى مخيف ..
 وفى هدوء مستغف ، أجابه (نور) :
 - بلى .. ولكن هذا يوافق استنتاجاتنا .
 أدار ذلك الكائن عينيه إليه ، قائلاً :
 - من الواضح أنك أكثرهم ذكاءً .
 أجابه (نور) ، فى شيء من السخرية .
 - ومن الواضح أيضاً أنكم تراقبون كوكبنا منذ زمن
 طويل ، فلديكم فكرة جيدة عن طبيعتنا ، ولغائنا ،
 وأساليب تفكيرنا ، وإلا ما أجدتم حريكم النفسية إلى
 هذا الحد .

هز الكائن رأسه ، وقال :
 - هذه الأمور تتشابه ، فى الكون كله أيها الأرضى ..
 كل المخلوقات المفكرة تتأثر بالاختلالات المعنوية ،
 وبالخوف من المجهول .. كلها يمكنك أن تهزم
 أعماقها ، قبل أن تواجهها وجهاً لوجه .. المهم أن
 تجيد قواعد اللعبة .

قال (أكرم) فى عصبية غاضبة :
 - هل تعتبر كل تلك المذابح الدموية مجرد لعبة ؟



ولدقيقة أوبزيد ، ظل الجميع يُحدقون فى وجه ذلك الكائن ،
 الذى عقد ذراعيه الصغيرين أمام صدره ..

أدار المخلوق عينيه الواسعتين إليه فى ببطء ،
وتطلع إليه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول ،
عبر جهاز الترجمة الآلى :

- الحياة كلها مجرد لعبة .. أنتم أنفسكم
لا تعتبرونها أكثر من هذا ، وإلا ما أسأتم إليها إلى
هذا الحد .

اتعقد حاجبا (رمزى) وهو يتطلع إليه فى اهتمام ،
فى حين هتف (أكرم) فى حدة :

- نحن نساء إلى الحياة ؟! نحن ؟!
أجابها الكائن ، وهو ينظر إليه بعينه الواسعتين فى
صرامة :

- بالتأكيد .. ألا تدركون حقاً ما تفعلونه بكم ؟!
آلاف .. بل ملايين الأطنان من الغازات السامة ،
تطلقونها من آلاتكم ومركباتكم ، ومنازلكم كل يوم ..
مئات الجالونات من النفايات الكيماوية تلقى فى
المحيطات والبحار والأنهار كل دقيقة .. آلاف
الكيلوجرامات من المواد المشعة يتم دفنها فى رمال
الصحراء كل يوم .. غابات بأكملها تتم إبادتها ، من
أجل أخشابها .. مبيدات حشرية تنطلق فى كل ركن ..

أسمدة كيماوية تغذى طعامكم وطعام حيواناتكم
وماشيئكم ، التى تتغذون عليها .. نباتات غير طبيعية ،
تنشأ من تجارب الجينات وهندسة الوراثة والاستنساخ
كل دقيقة .. هل تصورت أن هذا سيبقى عالمكم على
حاله ، مهما طال الزمن ؟! خطأ .. خطأ .. خطأ ..
إنكم تدمرون الطبيعة حولكم فى ببطء ، وكل ما أفعله
هو أن أعجل بالنتائج .

قال (نور) فى حدة :
- بأى حق ؟! أتصور نفسك إلهاً ، بحق له تقرير
مصائر الآخرين ، لمجرد أن أحوالهم لا تروق له ..
حتى الإله (سبحانه وتعالى) لا يفعل هذا ..
قال الكائن ، وقد أطل غضب عجيب من عينيه
الكبيرتين :

- من لا يحافظ على كوكبه ، لا يستحق العيش
على سطحه .
ثم تقدم داخل الحجرة ، وتبعه الآليان ، وهو
يوصل :

- أنتم تمتلكون نعمة لا تدركونها .. عالم بأكمله ،
توفرت فيه كل سبل العيش .. كل شىء فيه متقن ،
متناغم ، متوازن ، متكامل .

غمغت (سلوى) فى حزم :

- لأنه من صنع الخالق (عز وجل) .

لوح بيده ، قائلاً :

- وعلى الرغم من هذا ، فأنتم تدمرونه بلا هوادة ..

كم من الحيوانات والطيور شارفت على الانقراض ؛

لأنكم زحفتكم بمدينتكم إلى مواطنها الطبيعية ؟! كم من

البشر سحقتموهم فى حروب طاحنة ، من أجل مطامع

استعمارية واقتصادية ؟! بل كم منهم يموت جوعاً

وعطشاً فى كل ساعة ، وغيره يعانى من التخمة

والإسراف ؟! كم .. وكم .. لو بدأنا فى تعداد

ما ترتكبون من أخطاء وموبقات ، لن يكفى العمر كله

لهذا .

لزداد انعقاد حاجبى (رمزى) ، وهو يتطلع إليه ،

فى اهتمام قلقل ، فى حين قالت (نشوى) فى حدة :

- ربما نكون قد ارتكبنا عشرات الأخطاء بشأن

كوكبنا ، ولكن حتى هذا لا يمنحك الحق فى الإساءة

إليه بأية صورة من الصور .

التفت إليها فى حركة حادة ، قائلاً :

- ومن يمكنه إقرار هذا ؟ أنت ؟!

تَقَدَّم (أكرم) نحوه ، هاتفاً فى شراسة :

- وليس أنت بالتأكيد .

تراجع الكائن فى سرعة ، وهو يشير بيده

الصغيرة ، قائلاً :

- إياك حتى أن تحاول .. الآليان سيسحقان كل من

يحاول الاقتراب منى أو إيذاءنى .

هتف (أكرم) فى حدة :

- من الواضح أنك تعتمد كثيراً على الآلات .

ارتفع المدفعان الآليان فى وجهه بسرعة ، وهتف

الكائن :

- لقد حذرتك .

صاح (أكرم) فى غضب :

- ومن قال : إبنى أهتم ؟!

أمسك (نور) ذراعه فى قوة ، وهو يقول فى

صرامة :

- تما لك نفسك يا رجل .. لا تمنحه المبرر لقتلك .

قال (أكرم) فى عصبية :

- وهل تعتقد أنه سيبقى علينا ؟!

أدار (نور) عينيه إلى الكائن ، قائلاً :

- إنه يبقى علينا لسبب ما .

اعتدل الكائن ، وعاد يعقد ساعديه أمام صدره ،

وهو يقول :

- بالتأكيد .

قال (نور) فى هدوء :

- وهذا السبب يندرج تحت قائمة السادية نفسها

بالطبع .

صمت الكائن بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، عبر

جهاز الترجمة الآلى :

- عالمنا لم يعرف أبداً هذه المصطلحات المعقدة ،

لشرح طبيعة التفكير والمشاعر ، ولكن قدومكم إلى

هنا ، فى مهمة انتحارية كهذه ، يعنى أنكم فريق

خاص للغاية ، ثم إن مركبتكم الفضائية كانت مزودة

بأجهزة خاصة ، يمكنها إغلاق ما تطلقون عليه اسم

(طريق النجوم) إلى الأبد ، مع كل ما يحمله هذا

من احتمالات عدم عودتكم ، إذن فأنتم انتحاريون ،

لا قيمة لحياتكم نفسها عندهم .

قال (نور) فى حزم :

- فى سبيل الواجب .

تابع الكائن ، وكأنه لم يسمعه :

- وبالتالى ، لن يضيقكم أن أقتلكم هنا فوراً .. ولن

يفيدنى هذا أيضاً .

تساءلت (نشوى) فى توتر :

- أتعنى أنك لن تقتلنا ؟!

أجاب (رمزى) فى سرعة :

- بل سيفعل .

استدار إليه الجميع فى دهشة ، وبدأ توتر ملحوظ ،

فى عيني الكائن الواسعتين ، فتابع (رمزى) فى

حزم :

- ولكن بعد أن ينتصر فى معركته ، ويضمن فناء

الأرض .

ازداد التوتر المطلق من عيني الكائن ، وهو يقول :

- آه .. من الواضح أنك أيضاً عبقرى ، من طراز

آخر .

أجابه (رمزى) فى حزم :

- بل خبير نفسى ، انتبه على التوقف فقط إلى ظاهرة

عجيبة ، من ظواهر الكون ، تثبت وحدة خالقه (عزُّ

وجل) ، ألا وهى اشتراك كل مخلوقاته (سبحانه)

في منوال واحد .. لقد كنت أتطلع إليك طوال الوقت ،
محاولاً إلغاء صورتك من ذهني ، وتحليل تصرفاتك
بصورة مجردة ، ولقد أوصلتني هذا إلى أنني أمام
شخص وحيد ، معزول .. عانى طويلاً وكثيراً ، حتى
امتلات نفسه بالمقت والغضب ، والكراهية لكل
الأسباب ، التي أدت به إلى وحدته هذه ، فاختل عقله ،
وقرر الانتقام من كل من يقترب من هذه الأسباب ،
في أية نقطة يمكنه بلوغها من الكون .

استمع إليه الكائن في صمت مشوب بالحذر ، وإن
نم ذلك التوتر في عينيه الواسعتين على أن (رمزي)
ينطق صدقاً ، حتى أن (أكرم) تساءل في عصبية
متوترة :

- ماذا تعني بكلمة الوحدة هذه ؟ ألا يتفق مع بنى
قومه .

هز (رمزي) رأسه نفياً ، وهو يقول :

- ألم تدرك الأمر جيداً يا صاح ؟

غمغم (نور) :

- أنا أدركته منذ البداية .

حدق فيه (أكرم) لحظة ، قبل أن يقول :

- ما الذي أدركتماه بالضبط ؟

أجابته (نور) ، وهو يشير إلى الكائن :

- لا توجد مخلوقات حية أخرى في هذه السفينة ..

إننا نقف أمام العقل الحي الوحيد بها .

تألفت عينا الكائن ، عندما نطق (نور) بعبارة

هذه ، في حين استدار إليه الجميع ، يحدقون فيه

بدهشة بالغة ، فالتفت إليه (نور) ، قائلاً :

- أليس كذلك ؟

صمت الكائن بضعة لحظات ، قبل أن ترسم على

ذلك الشق في وجهه شبح ابتسامة ، وهو يجيب :

- بل خطأ .. استنتاجهم خاطئ تماماً هذه المرة .

قالها ، وفرق سبابته وإبهامه ..

ومع الفرقة ، صدرت تلك الزمجرة مرة أخرى ..

ثم ارتفعت جدران الحجرة في بضع ..

واتسعت عيون الجميع بدهشة عارمة ..

فما رأوه خلف تلك الجدران كان مدهشاً ..

بحق .

* * *

٨ - أعماق الزمن ..

فى حياة كل إنسان مشاهد بعينها ، لا يمكنه نسيانها قط ، وإن طال به الزمن ..

مشاهد حفرت فى أعماقه آثاراً لا تنمحى .

وانغrust فى كياته ..

حتى النخاع ..

ومن المؤكد أن ذلك المشهد ، الذى وقعت عليه عيون (نور) ورفاقه ، داخل سفينة الغزاة ، كان أحد تلك المشاهد ، التى سجلتها عيونهم ، واختزلتها عقولهم ، وستبقى فيها إلى الأبد ..

فأمام عينهم ، كان هناك جدار كامل من الزجاج ، يحمى مجموعة من اثنتى عشرة أسطوانة شفافة ، رقد داخل كل منها مخلوق مشابه تماماً لذلك الذى يقف أمامهم ..

بل يتطابق معه تمام التطابق ، وكأنهم جميعاً نسخ من رجل واحد ..

وكان من الواضح أنهم إما موتى ، أو غارقون فى غيبوبة عميقة ..

عميقة للغاية ..

وعبر المترجم الآلى ، راح المخلوق يقول ، وهو يسير إلى جوار الجدار الزجاجى ، يتبعه حارساه الآليان :

- ما ترونه أمامكم آخر السلالة الحاكمة فى كوكبنا ، بعد أن أفسدنا بينته ، بنفس ما أفسدتم به بينتكم ، حتى فنت كل صور الحياة على سطحه .. كنا نعلم منذ فترة طويلة أن النهاية آتية لا ريب ، بعد أن انكمش غلافنا الجوى ، ولم تتجح تكنولوجيايتنا كلها فى إنقاذنا وإبقائنا ، لذا فقد صنعنا سفينة الفضاء العملاقة هذه ، بكل ما تبقى من مواردنا ، وزودناها بتلك المقاتلات الآلية ، والهياكل الزائفة ، وكل وسائل التمويه والخداع اللازمة ؛ لأن مشاهداتنا أنبأتنا بأن الحجم يمثل أهمية بالغة ، فى كل أنحاء الكون ..

غمغم (رمزى) :

- وهذه هى العقدة النفسية ، التى تحكم تصرفاتك . تجاهله المخلوق تماماً ، وهو يتابع :

- وعندما حانت لحظة النهاية ، مع انهيار الغلاف
الجوى ، واتهمار الأشعة الكونية على كوكبنا ،
انطلقت بنا سفينة الفضاء ، المصممة بحيث تحيا
لقرون من زمنكم فى الفضاء السحيق ، خاملة آخر
من تبقى من سلالتنا الملكية .

قال (نور) :

- أراهن أنكم تركتم الباقين خلفكم ، لتحصدهم
الأشعة الكونية بلا رحمة .

أجابته المخلوق :

- لم يكن هناك مكان يتسع للجميع ، وكان من
الضرورى إتخاذ السلالة الملكية وحدها .

قالت (سلوى) فى حدة :

- موقف بالغ الأنانية والطغيان .

أشار (رمزى) إلى الأسطوانات الشفافة ، وهو

يقول :

- ما أمامك هو صورة أكثر وضوحاً للأنانية
والطغيان .. لقد استخدموا تكنولوجيا الاستتساخ ،
لصنع نسلهم الملكى كله ، وكأنما يرفضون حتى أن
تمنحهم الطبيعة هباتها .

قال المخلوق ، وهو يلتفت إليه :

- أية هبات ؟! كلنا من نسل والدنا العظيم ، الذى
تحقق له الكمال كله .. القوة والذكاء ، و ...
قاطعه (أكرم) :

- الكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده يا هذا .

رمقه المخلوق بنظرة عجيبة ، تحمل شيئاً من
المقمت ، قبل أن يقول :

- المهم أننا انطلقنا فى الفضاء ، بحثاً عن عالم
جديد ، يصلح لحياتنا ، ولاستمرار نسلنا ، وكان من
الممكن أن يتحقق لنا هذا ، لولا (بينا - تو) .

سأله (أكرم) فى عصبية :

- ومن (بينا - تو) هذا ؟! أحد حمقاكم الملكيين ؟!
تابع المخلوق ، وهو يواصل سيره إلى جوار الجدار
الزجاجى ، محاولاً تجاهل تعليقات (أكرم) اللاذعة :
- (بينا - تو) هو نوع من الفيروسات (*) ، التى

(*) الفيروسات : مجموعة جراثيم دقيقة جداً ، لا يرى
معظمها بالمجهر الضوئى العادى ، ويمكنها فى العادة التلصق من
الروائح البكتيرية ، وللفيروسات خصائص الكائنات الحية ، ولكنها
لا تحيا أو تتكاثر إلا متطفلة على نوع من الخلايا الحية .

نمت فى عالمنا ، مع انهيار غلافه الجوى ، وراحت
تنتشر فى شعبنا انتشار النار فى الهشيم .. ولقد
تصورنا أننا ، كسلالة ملكية ، بمنأى عن الإصابة
بها ، حتى كشفنا فجأة أنها قد توغلت فى أجسادنا ،
وصار مصيرنا الموت حتمًا .
ثم استدار يتطلع إلى الأسطوانات الشفافة ،
مستطردًا :

- لهذا اتخذوا قرارًا بأن يتم تجميد أجسادهم ، حتى
نبلغ كوكبًا ، يمكننا فيه أن نبحث عن علاج للمرض .
قال (رمزى) فى ببطء :
- وكان عليك أن تبقى ، لتقوم بعملية التجميد هذه .
صمت الكائن لحظة ، قبل أن يجيب :
- قمنا بعمل الاقتراح ، ووقع الاختيار على للبقاء ،
والقيام بعملية التجميد .

قال (رمزى) بلهجة ساخرة ، أدهشت الجميع :
- وهذا يؤثر غضبك ومفكك إلى أقصى حد .
بدا التوتر أكثر وضوحًا ، فى عيني الكائن ، وهو
يتطلع إلى الأجساد المجمدة أمامه ، قائلاً :
- لقد أجبروني على القيام بالمهمة ؛ لأننى أصغرهم

سنًا .. تصوروا أنهم قادرون على قهرى ، وتركى
خلفهم ، أعانى الألم والعذاب ، مع (بينا - تو) ،
حتى أجد كوكبًا صالحًا لحياتهم .
قال (رمزى) بنفس اللهجة :
- ولكنك ستنتقم منهم جميعًا .. ستسحق كل صور
واحتمالات الحياة ، على أى كوكب يصلح لهم ، حتى
ينتهى أمرهم تمامًا .. إنك لم تغفر لهم قط ما فعلوه
بك .

استدار إليه الكائن فى ببطء ، وتطلع إليه بضع
نحظات ، قبل أن يقول :
- كيف تفعل هذا بالضبط ؟! كيف يمكنك قراءة
أعماقى على هذا النحو ؟!
قال (نور) فى حزم :
- أخبرناك أنه خبيرنا النفسى .
قال بسرعة :

- وأنا أخبركم أننا لا نجيد فهم هذه الأمور .
هتف (أكرم) فى حدة :
- من الواضح أنك لا تجيد سوى القتل والتدمير
فحسب ..

أشار المخلوق بيده إلى ما حوله ، قائلاً :

- إنها أفضل لعبة أجيدها ، منذ زمن طويل .. كل ما ترونه حولكم عبارة عن عقل آلى عملاق ، متخصص في استراتيجيات الحرب والقتال .. وهو الذى يعد الخطة كلها ، من الألف إلى الياء ، بعد أن تزوده بكل المعلومات اللازمة ، عن العالم الذى أسعى لإفناؤه .

قالت (سلوى) بصوت مبحوح :

- أتعنى أننا لسنا أول عالم تسعى خلفه ؟
رسم ذلك الشق فى وجهه ابتسامة مزهوة ، وهو يجيب :

- لقد أفنيت عالمين كاملين من قبل .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يقول فى حدة :

- أيها الحقير .. أتزهو بوحشيتك هذه ؟

صاح به (نور) :

- اهدأ يا (أكرم) .. لا تمنحه الـ ..

صرخ (أكرم) :

- أمنحه ماذا يا (نور) ؟! أظن هذا الضليل

الحقير يفكر ، ولو لحظة واحدة ، فى إبقائنا على قيد

الحياة ، بعد أن يسحق كوكبنا ؟!

قال الكائن فى بضع :

- استنتاج آخر خاطئ .

التفت إليه (أكرم) ، هاتفاً فى حدة :

- هل تراهن ؟!

أجابه الكائن :

- إننى أنوى ترككم بالفعل على قيد الحياة ، بعد

فناء كوكبكم .

ثم تألقت عيناه الواسعتان بهريق وحشى مخيف ،

وهو يكمل :

- ففكرة إطلاقكم فى القضاء اللانهائى ، بعد أن

فقدتم كل مكان يمكن أن تلجئوا إليه ، تثير فى نفسى

سعادة أكبر .

اتسعت عيونهم فى دهشة ، وتبادل (نور) و (أكرم)

نظرة متوترة ، قبل أن يقول هذا الأخير فى غضب

هانر ، وهو يتجه نحو الكائن :

- أيها الحقير الـ ...

قاطعه (نور) ، وهو يجذبه فى حدة :

- قلت لك : اهدأ .

استدار إليه (أكرم) ، صارخاً :

- لا شأن لك بهى .
أطلق صرخته ، ثم انقضَّ على (نور) فى شراسة
عجيبة ..
واشتبك الاثنان فى قتال عنيف مباغت ..
عنيف للغاية ..
ومباغت تمامًا ..

كان الموقف عجيبًا بحق ..
(نور) و (أكرم) .. الزميلان .. الصديقان
يتصارعان ، بمنتهى العنف والشراسة ، وسط
رفاقهما ، وأمام عيني مخلوق فضائى سادى عجيب ،
تألقت عيناه الواسعتان فى نشوة ، وهو يراقب ذلك
الصراع ، وكأنما يستمتع بكل لحظة ..
أما (سلوى) و (نشوى) ، فقد أصابهما الفزع
والذعر لما يحدث ، وصرخت الأولى ، وهى تتراجع
فى حدة :

- (نور) .. (أكرم) ! ماذا أصابكما ؟!

وصاحت (نشوى) :

- يا إلهى ! ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

(رمزى) وحده ظلَّ صامتًا ، معقود الحاجبين ،
يراقب المشهد باهتمام شديد ، وكأنها دراسة خاصة ،
يحرص على استيعابها جيدًا ..
وفى شراسة مدهشة ، اشتبك (نور) و (أكرم) ،
وراحا يتدافعان فى عنف ، و ...
وفجأة ، وعندما صارا على مسافة مترين فحسب
من ذلك الكائن الفضائى ، انفصلا عن بعضهما البعض ،
ووثبا نحوه فى آن واحد ..
وكانت مفاجأة للجميع ..
حتى الآليين ..
ففى جزء من الثانية ، كان (أكرم) يحمل ذلك
الكائن بذراعه اليسرى ، ويحيط عنقه بساعده الأيمن ،
هاتفًا فى سخرية :

- يبدو أن العقول الآلية ما زالت تتفوقُ أيها الوغد .
تحرك الآليان فى سرعة ، وارتفعت فوهتا
مدفعيهما الليزرين فى تحفُّز ، فجذب (نور) الكائن
أمامهما ، وهو يقول فى صرامة :

- هيا .. أخبرهما أنه من المستحيل أن يقتلا
سيدهما .

هتفت (سلوى) مبهورة :
 - يا إلهى ! إننى فهى خدعة .
 أجابها (رمزى) مبتسماً :
 - بالتأكيد يا (سلوى) .. ماذا تصوّرت ؟!
 ألقت (نشوى) رأسها على صدره ، هاتفة بصوت
 أشبه بالهات :
 - حمداً لله .. حمداً لله .
 أما الكائن ، فقال فى غضب :
 - هل تتصوّرون أن هذا يمكن أن يكفل لكم النصر ؟!
 أجابه (نور) :
 - كنا واثقين من أن حارسيك الآليين لن يجرؤا
 على إطلاق أشعة مدفعيها ، ما دمنا نحتسب بجسدك .
 قال فى حدة ، عبر عنها ارتفاع صوت المترجم
 الآلى :
 - إنكما تسيئان تقدير الأمور .
 ضغط (أكرم) بساعده على عنقه أكثر ، وهو
 يقول :
 - بل من الواضح أنك أنت تسىء تقدير قدراتنا .
 قال الكائن :

- ما تفعلاته لن ينقذكما .
 أجابه (نور) فى حزم :
 - دعنا نجازف .
 هز رأسه فى حدة ، هاتفاً :
 - لن يمكنكم هذا .
 ثم عادت عيناه تتألقان ، وهو يضيف :
 - هل تعلمون ما أفضل شىء فى التعامل مع
 الآلات ؟! أنها لا تحمل فى أعماقها أية مشاعر ..
 على عكسكم تماماً أيها البشر ، الذين تسيطر عليهم
 عواطفهم دائماً .
 انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، فى حين تابع
 الكائن :
 - ربما كنتما تحتميان بجسدى ، ولكن رفاقكما
 ليسوا كذلك .
 وأدار عينيه إلى الحارسين الآليين ، مستطرداً :
 - اقتلوا الباقيين .
 ولم يكد قوله يكتمل ، حتى استدارت فوهتا
 المدفعين الليزرين ، نحو (رمزى) و (سلوى)
 و (نشوى) ..

وصرخت (سلوى) ..
 وشهقت (نشوى) ..
 وتراجع (رمزى) فى عنف ، و ..
 ووثب (نور) ..
 ووثب كنمر ثائر ، يدافع عن حياته ، وكيانه ..
 وأسرته ..

وبكل قوته واندفاعه ، اصطدم بأحد الآليين ،
 ودفعه أمامه فى عنف ، ليرتطم بالآلى الآخر ،
 ويسقط الجميع أرضاً ..
 وفى نفس لحظة سقوطهما ، دفع (أكرم) ذلك
 المخلوق جانباً ، بمنتهى العنف والقسوة ، ووثب نحو
 الآليين بدوره ، صائحاً :

- قاتل يا (نور) .. يمكننا أن ننتصر يا فتى .

استدار إليه أحد الآليين ، وأطلق حزمة ليزر من
 مدفعه ، تفادها (أكرم) باتحناؤة سريعة ، فواصلت
 طريقها ، لتتسف الجدار الزجاجى المسميك ، الذى
 يحمى الأسطوانات الشفافة ، وتفجّر شظاياها فى كل
 مكان .

أما الآلى الثانى ، فقد نظم (نور) بيده لكمة قوية ،



وفى نفس لحظة سقوطهما ، دفع (أكرم) ذلك المخلوق جانباً ،
 بمنتهى العنف والقسوة ، ووثب نحو الآليين بدوره ..

ألقت هذا الأخير مترين كاملين إلى الخلف ، ليسقط
على قيد متر واحد من الأسطوانات الشفافة ، فصبوب
إليه الآلى مدفعه الليزرى ..
وأطلقه ..

ووثب (نور) مرة أخرى ..
وثب محاولاً تفادى الطلقة ..

ولكنه شعر بخيط من النار يخترق نراعه اليسرى ،
ورأى الدماء تتدفق منها فى عنف ، فى نفس اللحظة
التي وثب فيها (أكرم) نحو الآلى الآخر ودفعه أمامه
فى قوة ، صالحاً :

- أيها الأوغاد .. أيها الأوغاد .

وبمنتهى العنف ، ارتطم الآلى بزميله ، وسقط
الاثنتان أرضاً ..

ثم نهضا بسرعة مذهشة ..

واتطلعت أشعة مدفعيهما مرة أخرى .

وفى هذه المرة ، شعر (أكرم) بفخذه يتمزق ،
ورأى جسد (نور) يندفع إلى الخلف فى عنف ،
ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط أرضاً ، و (رمزى) ينقض
على أحد الآليين ، فى حين تعدو (سلوى) و (نشوى)
مبتعدتين فى رعب ..

وأمام عينيه ، وقبل أن ينهض (نور) ، رأى (أكرم)
الآلى يحمل (رمزى) فى خفة ، ثم يلقي به نحوهما
فى عنف ..

وفى نفس اللحظة ، التى ارتطم فيها جسد (رمزى)
بالأرض ، بمنتهى القوة والعنف ، اعتدل الآليان ،
واتجهت فوهتا مدفعيهما الليزرين نحو الرجال
الثلاثة ، و ..

وأصبح من الواضح أن الفريق يستعد لتلقى هزيمة
فادحة ..

أعنف هزيمة فى تاريخه ..

وأفدحها ..

شبك القائد الأعلى أصابع كفيه أمام وجهه ، فى
توتر بالغ ، وهو يراقب شاشة الرصد الكبيرة ، التى
تنقل المشهد كاملاً ، وتمعن حاجباه فى شدة ، على
نحو جعل الدكتور (جلال) يقول :

- اطمئن أيها القائد .. كل شيء يسير على ما يرام .

هز القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

- لا يمكنك الوثوق ، قبل أن ينحسم الأمر تماماً .

تتهّد الدكتور (جلال) ، وغمغم :

- لقد تمّ التنسيق بين كل الجبهات ، وسنقاتل كلنا
كيد واحدة .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- وربما لأول مرة فى التاريخ .

قال الدكتور (جلال) فى خفوت :

- هذا صحيح .

غلغلها الصمت بضغ لحظات ، وهما يراقبان

ما يدور على الشاشة ، قبل أن يزدرد الدكتور (جلال)

لعابه فى صعوبة ، متسائلاً :

- هل تعتقد أننا سنراهم مرة أخرى ؟!

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

- من ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

- (نور) ورفاقه .

تراجع القائد الأعلى ، حتى ألصق ظهره بمقعده ،

وهو يقول :

- من يدري ؟!

هزّ رأسه ، قائلاً فى أسى :

- سجلاتهم تؤكد أنهم قد تجاوزوا مواقف شديدة
الصعوبة من قبل .

صمت القائد الأعلى قليلاً ، ثم قال فى مرارة :

- ليس فى كل مرة تسلم الجرة .

عاد الدكتور (جلال) يهزّ رأسه ، متممناً :

- يا للخسارة !

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يميل مرة أخرى

إلى الأمام ، ويتطلع إليه فى دهشة متسائلاً ، قبل أن

يقول فى حذر :

- ظننتك لا تميل إليهم .

أجابه فى مرارة :

- لم أكن أفهمهم جيّداً .

ثم نهض من مقعده ، وتحرك مبتعداً ، وكأنما

يحاول إخفاء مشاعره وانفعالاته ، وهو يتابع :

- الدكتور (ناظم) ، الذى تسبّبوا فى إقالته(*) ،

كان صديقاً عزيزاً ، حتى أننى شعرت بالكراهية

تجاههم ، من جراء ما فعلوه به .

(*) راجع قصة (الغزاة) .. المغامرة رقم ١٢٤

قال القائد الأعلى :

- الدكتور (ناظم) ارتكب ما استحق عليه ما حدث .

هزُّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

- لم يمكننى استيعاب هذا وقتها .

سأله القائد الأعلى :

- وما الذى جعلك تستوعبه الآن ؟

أجاب فى سرعة :

- الغزاة .

ثم صمت لحظة ، شرد خلالها بصره ، قبل أن

يتابع فى مرارة :

- أنا مثل الجميع ، امتلأ قلبى بالرعب والفزع ، مع

مقدم الغزاة ، واستعاد عقلى كل العذاب والجحيم ، اللذين

عانيتهما من الغزو السابق^(*) ، وعلى الرغم من هذا ،

وعلى الرغم من أن مذكرات وروايات شبيهه (نور)

المعكوس كانت تضاعف من الرعب والذعر ، إلا أن

الفريق كله لم يتردد لحظة واحدة ، فى القيام بمهمة

انتحارية ، قد لا يعود منها أبداً ، فى سبيل إنقاذ

الأرض .. فى سبيل درء الخطر عنى وعنك وعن الجميع .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٦

والتقط نفساً عميقاً ، ملأ به صدره عن آخره ، ثم

أضاف فى حسم :

- كانوا أبطالاً ، لم ألتق بمثلهم من قبل قط .

ارتسمت ابتسامة متألفة على شفתי القائد الأعلى ،

وهو يقول :

- إنهم كذلك دائماً .

تمتم الدكتور (جلال) :

- بالتأكيد .

لم يكد يتم عبارته ، حتى نقلت الشاشة دويًا

مكتومًا ، مع صوت أحد العلماء ، وهو يقول فى

انفعال :

- اختراق طريق النجوم سيتم خلال عشرين ثانية ..

اتحسنت أنفاس القائد الأعلى ، والدكتور (جلال) ،

وهما يتطلعان إلى الشاشة الكبيرة ، فى حين تردّد

العد التنازلى بسرعة بدت لهما مخيفة ..

تسع عشرة ثانية ..

ثمان عشرة ..

سبع عشرة ..

وراح قلباهما يخفقان فى عنف ، مع اقتراب لحظة
الصفر ..

سبع ..

ست ..

خمس ..

أربع ..

ثلاث ..

اثنان ..

ثانية واحدة ..

ثم دوت فرقعة أكثر عنفاً ، أعقبها صوت كهزيم
الرعد ، ارتجت له حجرة القائد العام كلها فى عنف ..

عنف يعلن أن ساعة الحسم قد حانت ..

وأن القدر سيصدر حكمه أخيراً ..

فإما الأرض ..

أو الغزاة ..

* * *

من المؤكد أن نتائج المواجهة المباشرة ، بين
البشر والآلات المقاتلة ، لا يمكن أن تحسم أبداً لصالح
البشر ..

فى الظروف العادية ..

فالات المقاتلة ، كما يؤكد ذلك المخلوق الفضالى ،
تتحرك بسرعة أكبر ، دون أية مشاعر أو انفعالات ،
لتحقيق هدف واحد ..

القتل ..

قتل الخصم ..

أيما كان ..

وأيما كانت الظروف والملابسات ..

ربما كان هناك أمل للبشر ، فى القتال طويل
المدى ..

حيث توجد مساحة للتروى والتفكير ..

والمراوغة ..

والمناورة ..

والخداع ..

وحتى فى هذه الحالة ، ستكون احتمالات النصر
ضئيلة ..

أما فى المواجهات المباشرة ، فالاحتمالات تقترب
من الصفر ..

وربما أقل ..

هذا بالضبط ما دار فى رأس (نور) ، فى جزء
من الثانية ، عندما شاهد الفوهتين القاتلتين تتطلعان
نحوه ونحو رفيقيه مباشرة ..

وتوقع أن تنطلق حزم الليزر منهما على الفور ..
دون إبطاء ..

أو رحمة ..
ورآها بعين الخيال تسحق ثلاثتهم ، و ..

ولكن الأليين انتفضا فجأة ..
وتألفت عيونهم الآلية بشدة ..

ثم تجمدا فى مكاتيهما ، كما لو أنهما قد تحولتا إلى
تمثالين من الصلب .

وبكل دهشة ، هتف (أكرم) ، وهو يمسك جرح
فخذه فى ألم :

- رباه ! ماذا أصابهما ؟!

أتاه صوت (سلوى) من خلفه ، يقول فى عصبية :
- لقد أفسدت عملهما .

التفت الجميع إليها فى دهشة ، وهتف (نور) :
- أفسدت عملهما ؟! ولكن كيف ؟

أجابته بصوت يحمل مرارة عجيبة :

- أطلقت نذبذة خاصة ، شلت أجهزتهما ، وعطلتهما
عن العمل .

سألها (رمزى) فى حيرة متوترة :

- ومن أين حصلت على تلك النذبذة الخاصة ؟!
أشارت إلى الكمبيوتر المسنول عن إعاشة تلك
المخلوقات المتجمدة ، دون أن تنبس ببنت شفة ،
وشفتاها ترتجفان فى شدة ، فاستعت عينا (نور) ،
وهو يقول :

- رباه ! لقد فصلت عنهم الجهاز لإتقانا !

قالت (نشوى) فى عصبية :

- لم يكن أمامنا حل آخر .

ثم انفجرت باكية بغتة ، مضيفة فى انهيار :

- كنا أمام خيار واحد لا غير .

وألقت نفسها بين ذراعى زوجها ، وراحت تبكى
فى مرارة ، فى حين ارتجفت الكلمات على شفתי
(سلوى) ، وهى تقول :

- إما نحن أو هم .. لم يكن لدى خيار .

واغرورت عيناها بالدموع ، وهى ترفعهما إلى
(نور) ، مكررة بصوت أكثر ارتجافا :

- لم يكن لدى خيار يا (نور) .

ثم دفنت وجهها بين كفيها ، وانخرطت فى بكاء حار ، فاحتواها (نور) بين نراعيه ، وهو يغمر فى حنان مشفق :

- نعم يا عزيزتى .. لم يكن لدينا خيار .. ومن يدري !؟ ربما كان هذا هو الجزاء العادل الذى يستحقونه ، من الله (سبحانه وتعالى) ، جزاء ما اقترفته أيديهم فى حق شعوبهم ، و ... قبل أن يتم عبارته ، ارتفع صوت (رمزى) ، وهو يهتف فجأة :

- رباه ! أين ذلك المخلوق !؟

تلقت الجميع حولهم فى دهشة مذعورة ، وهتف (أكرم) فى غضب :

- ذلك الوغد !

لم يكذب قوله ، حتى نقل جهاز الترجمة الآلى ضحكة مجلجلة ، أعقبها صوت يقول :

- أنا هنا ، فى مكان ما داخل سفينتى ، لن يمكنكم التوصل إليه قط .. لا تتصوروا أن سخافاتكم هذه تعنى أنكم قد انتصرتم على .. محال .. محال .. محال ..

ما من بشرى يمكن أن يهزمنى قط .. أشقائى لقوا جزاءهم بالفعل .. وهم يستحقونه .. أما أنا ، فسأحيا حتى آخر قطرة دم ، يلتهمها ذلك الفيروس الحقيقى .. صاح (أكرم) :

- أتمنى أن تتعذب فى كل لحظة أيها الوغد .

أجابه المخلوق ، عبر جهاز الترجمة الآلى :

- على الأقل سأبقى بعد أن تذهب أنت .. إننى داخل سفينتى ووطنى ، أما أنتم ، فعلى بعد سنوات ضوئية من عالمكم ، دون وسيلة واحدة للعودة إليه . هتف (نور) :

- من يدري !؟

أجابه فى سرعة :

- أنا .. أنا أدرى .

ثم اكتسب الصوت الآلى رنة عجيبة ، وهو يضيف :

- وأعلم أنها نهايتكم .

مع آخر حروف كلماته ، بلغ مسامعهم وقع أقدام معدنية ثقيلة تقترب ، من القاعة التى يقفون فيها .. ودوت انفجارات مختلفة ، انفجر بعدها باب القاعة تماماً ..

وبرز عنده عشرة من المقاتلين الآليين ، بمدافعهم
الليزرية القوية ..

وارتفعت ضحكات ذلك المخلوق ، وهو يهتف فى
ظفر ، عبر جهاز الترجمة الآلى :

- لقد خسرتم أيها الأرضيون .. خسرتم .

وارتفعت ضحكاته الظافرة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★



٩ - الختام ..

فجأة ، ارتجت سفينة الغزاة فى عنف ..

وعبر ممر الهبوط الطويل فيها ، تردد صوت أشبه
بفرقة مكتومة ..

واتسعت عيون الجميع فى دهشة ، و (سلوى)

تهتف فى التفعال ، انتفض معه جسدها كله :

- رباه ! هناك قوة هائلة ، اخترقت طريق النجوم

على التبو .. مع هتافها ، وكأنما تلقوا جميعاً أمراً

عاجلاً ، تراجع المقاتلون الآليون ، واتجهوا نحو

ممر الهبوط فى سرعة ، على نحو يوحى بأن

برنامجهم يضع الدفاع عن السفينة ، على رأس قائمة

الأولويات ..

مهما كانت الظروف ..

وهتف (نور) ، وهو يعدو خلفهم :

- رباه ! يبدو أن ما كنت أتوقعه قد حدث يا رفاق .

تبعه الجميع إلى قاعة أخرى ، تتصل بممر الهبوط ،

ولها جدار زجاجى ضخـم ، يطلّ على الفضاء السحيق ،
و (أكرم) يتساءل فى انفعال :

- وما الذى كنت تتوقّع حدوثه يا (نور) ؟
بدا الارتياح فى وجه (نور) وصوته ، وهو يتطلع
عبر الجدار الزجاجى ، مجيباً :

- أن تصل إلينا وسيلة العودة إلى الأرض .
ومع جوابه ، اتسعت عيون الجميع ، فى دهشة
وتبهار ، وانطلقت من حلوقهم ، على الرغم منهم ،
شهقة قوية عنيفة ..

فأمام عيونهم ، وعبر الجدار الزجاجى السميك ،
كانت هناك أسراب هائلة من المقاتلات الأرضية ،
تنقض على سفينة الغزاة ..

أكثر من مائتى ألف مقاتلة أرضية فضائية ، تحمل
خليطاً من أعلام معظم دول كوكبنا ، تشتبك مع
مقاتلات الغزاة ..

الحقيقية ..

كل أسطول الأرض الفضائى يضرب ضربته ..
ويواجه المقاتلات الآلية ..

بمنتهى القوة ..

ومنتهى الحزم ..

وعبر جهاز الاتصال الداخلى فى سفينة الغزاة ،
ارتفع صوت أرمى حازم صارم ، يقول :

- هذه الرسالة يتم بثها على كل الموجات الطويلة
والمتوسطة والقصيرة ، وعبر شبكات (الميكروويف) ،
والليزر ، وموجات ألفا وبيتا .. هنا الأسطول الفضائى
لكوكب الأرض .. نطالبكم بالاستسلام فوراً ، دون قيد
أو شرط ، وإلا سحقناكم سحقاً .. أكرر .. استسلام
دون قيد أو شرط .

كانت مقاتلات الغزاة تتساقط بسرعة ، و (سلوى)
تهتف فى سعادة :

- رياه ! كيف فعلوها ؟! كيف جاءوا إلى هنا ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

- لقد فهموا الرسالة أخيراً .

سأله (أكرم) مبهوراً :

- الرسالة التى حملتها الكرة إليهم ؟!

هزّ (نور) رأسه نفياً ، وأجاب :

- بل الرسالة الأكثر أهمية يا صديقى .

واتعقد حاجباه ، وصوته يكتسب رنة صارمة

حازمة ، مستطرداً :

- إن الاتحاد قوة .

نطقها وهو يراقب ذلك الاشتباك العنيف ، بين
المقاتلات الفضائية الأرضية ومقاتلات الغزاة ..
الاشتباك الذى أوحى بأن الغمة قد انزاحت بالفعل ..
وإلى الأبد ..

* * *

« العجيب أننا لم نعرثر على أدنى أثر لذلك المخلوق ،
الذى التقيتم به يا (نور) !! » ..
نطق الدكتور (جلال) العبارة فى حيرة ، وهو
يتحدث إلى (نور) ، الذى أحاط نزاعه المصيبة
بالضمادات ، متسائلاً :

- هل قمتم بتفتيش السفينة جيّداً يا سيّدى ؟!

أجابه القائد الأعلى :

- كل شبر منها يا (نور) ، بعد أن استولت عليها
قواتنا المشتركة ، وسيطرت على الموقف تماماً ..
لقد اختفى ، دون أن يترك خلفه أدنى أثر .
وأشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

- ربما أثر الانتحار ، أو أفنى نفسه بوسيلة ما .

غمغم (نور) :

- أو انتقل إلى بُعد آخر .

هزّ الدكتور (جلال) كتفيه ، قائلاً :

- كل شيء جائز أيها المقدم .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو
يربّت على كتف (نور) ، قائلاً فى ارتياح واضح :

- وصدقنى .. إننى أسعد أهل الأرض بعودتكم
إلينا .. حمداً لله على سلامتكم أجمعين .

تنهّد (نور) ، مغمغماً :

- أشكرك يا سيّدى .

ثم سأله فى اهتمام :

- ولكن ماذا عن طريق التجوّم ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

- الدول كلها وافقت على إغلاقه إلى الأبد .. قد

يعنى هذا أننا لن نفيد منه ، ولكنه أيضاً لن يحمل إلينا
خطراً جديداً ، من أطراف الكون مرة أخرى .

والتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف :

- لقد كُتِبَتْ لنا النجاة هذه المرة ، ولكن الله

(سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ماذا يمكن أن يحدث

فى المرة القادمة !

وظلّت تلك العبارة تتردّد في رأس (نور) طويلاً ..
من يدري ، ماذا يمكن أن يحدث في المرة القادمة ؟
من يدري ؟

« أين ذهبت ؟ » ..

تسلّل صوت (سلوى) إلى أذنيه في حنان ، وهو
يجلس شاردًا في شرفة منزله ، المطلة على
الحديقة ، فالتفت إليها ، متسائلًا :

- كيف حال (أكرم) الآن ؟

جلست على المقعد المجاور له ، مجيبة :

- سيتعافى قريبًا بإذن الله .

وملأت عينيهما بمشهد الحديقة والشمس الساطعة ،

قبل أن تضيف :

- هل تعلم ؟ ذات لحظة تصوّرت أننا لن نرى هذا

المشهد ثانية قط !

غمغم شاردًا :

- الله (سبحانه وتعالى) لم يكتب لنا الموت بعد .

هزّت كتفها ، قائلة بابتسامة هادئة :

- في المرة القادمة ، أعتقد أنني ..

قاطعتها في حزم :

- لن تكون هناك مرات قادمة بالنسبة لك ، قبل
فترة طويلة .. الطبيب يقول : إن حملك يحتاج إلى
الراحة وتفادى الانفعالات ، في الفترة المتبقية .
غمغمت معترضة :

- ما زال أمامي الكثير .

بدا شاردًا مرة أخرى ، وهو يقول :

- إنها أوامر الطبيب .

تطلعت إليه بضع لحظات في إشفاق ، ثم لم تلبث

أن مالت نحوه ، متسائلة :

- فيم تفكر يا (نور) ؟

انطلقت من أعماق أعماق صدره زفرة ، حملت

ما يعانيه ، قبل أن يرفع عينيه إلى السماء ، مجيبًا :

- أفكر في أننا قد نجحنا في إنقاذ عالمنا ، بفضل

شبيهي المعكوس ، الذي فشل في هذا تمامًا .

ربّكت على كتفه ، قائلة في تعاطف :

- إنه قدره وقدرنا .

وافقها بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- من يدري ؟ ربما وجد خيرًا لنا يومًا وسيلة

للانتقال إلى الزمن الماضي في عالمه .. وربما كانت

لدينا عندئذ الفرصة لإنقاذهم ، بعد كل ما علمناه ..

وهز رأسه فى قوة ، قبل أن يعاود التطلع إلى
السماء ، مكرراً :

- ربما .

شعرت بقلبها يخفق من أجله ، فتسللت يدها
تحتضن يده فى حنان ، ورفعت عينها مثله إلى
السماء ، وهى تهتف فى أعماقها ..

نعم .. من يدري !؟

ربما .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٣٢١٥

المطبعة العربية الحديثة

٨ ، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة - ٢٢ ٢٨٢٣٧٩٢ - ٢٨٣٥٥٥



د. نبيل فاروق

ملف
المستقبل
ملئنة
روايات
بوليسية
لشباب
من الخيال
العلمي
128

الشمع في مصر ٢٠٠
وسامهاته بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم



الزمن الآخر

- كيف يمكن أن تواجهه الأرض
احتمالات غزو فضائي جديد ؟
- ما ذلك السر الغامض الرهيب ، الذي
يخفيه غزاة الفضاء الأليون ؟
- ترى من ينتصر في هذه المعركة
الفاصلة .. (نور) وفريقه ، أم غزاة
(الزمن الآخر) ؟
- اقرأ التفاصيل المشيرة ، وقاتل مع
(نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم : وراء العقل